

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

ميدان: لغة وأدب عربي
فرع: أدب عربي
تخصص: أدب جزائري



كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي
رقم: L15/323

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر أكاديمي

إعداد الطالبة: منى خليف

عنوان

أدب المحنة عند واسيني الأعرج
مملكة الفراشة أنموذجا

تاريخ المناقشة: 2017-05-25 م

لجنة المناقشة:

الدكتور الربيع بوجلال.....جامعة المسيلة.....رئيسا

الدكتور عمار مهدي.....جامعة المسيلة.....مشرفا

ومقررا

الأستاذ عزوز ختيم.....جامعة المسيلة.....مناقشا

السنة الجامعية: 1437-1438 هـ / 2016-2017 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

کتابتہ فکرم و علم فاؤنڈیشن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

"وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا"

النساء الآية 113

أحمد ربي حمد الشاكرين، وأحمد ربي على توفيقه لي،
ومدي بالقوة والعزم لإنهاء هذا العمل المتواضع
واقترء بقوله صلى الله عليه وسلم:

"من لم يشكر الناس لم يشكر الله"

أتقدم بشكري الجزيل إلى كل من قدم لي يد العون
من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا العمل المتواضع
وإتمامه ولو بالنصيحة،

وأخص بالذكر المشرف الدكتور: (عمار مهدي) لما قدمه لي من توجيهات ونصائح قيمة فله
خالص التقدير والاحترام

كما الشكر موصول للجنة المناقشة التي تحملت عناء القراءة والتصويب
ولا يفوتني أن أتقدم بفائق التقدير وجميل العرفان
لكل أساتذة قسم اللغة والأدب العربي
بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة

منى خليل

أفريل 2017

مقدمة

مقدمة:

إن المتطلع على الأدب الجزائري عموما والرواية خصوصا، يتبين له جليا أنها صورت الواقع، واستطاعت أن تسيّر بخطى ثابتة نحو النضج، وذلك لمواكبتها لمختلف التغيرات التي طرأت على المجتمع الجزائري، بحكم العوامل والظروف التي أسهمت في إحداث هذا التغيير.

فالملاحظ على الرواية الجزائرية أنها شهدت تغيرا ملحوظا خاصة سنوات التسعينات، متأثرة بالأحداث السياسية والاجتماعية التي شهدتها الجزائر، فتشكلت وظهرت بخصائص وميزات طبعت الأدباء في هذه الفترة بطابع خاص، عكست بكل صدق تجارب الأفراد وآلام المثقفين.

حيث استطاعت الكتابة الروائية رصد مرحلة مهمة من تاريخ الجزائر تمثلت في العشرية السوداء، مرحلة تصادم ومواجهة وأزمة حقيقية، شخّصت الوضع وعبرت عن الآلام التي مر بها الجزائريون، فالأديب جزء من هذا المجتمع، ولسان حاله لأنه ابن له واليه يعود، من خلال الرواية المعاصرة على اعتبار أن النص الروائي ليس معزولا عن الخارج فهو مرجعه، فقد أشيع بأنها " رواية الأزمة "، التي وجدت في هذه الظروف الخانقة من تاريخ الجزائر ورواياتها واكبت الأحداث المأساوية، اتسمت بملامح مأساوية رسمت الشكل الجديد لهذا الجنس.

لقد طرحت روايات هذه المرحلة مواضيع في غاية الأهمية والخطورة منها: الإرهاب والدين، والسياسة والأخلاق، والعنف، والقتل... إلخ، فهذه المواضيع أضحت المغذي الأساسي لهذه الروايات، فإنك لا تكاد تجد نصا من هذه النصوص إلا وفيه موضوعا من هذه الموضوعات، كما أن هذه الروايات استطاعت أن تجسد محنة أمة بأكملها، ومن هذا المنطلق كانت دراستي لموضوع أدب المحنة عند واسيني الأعرج مملكة الفراشة أنموذجا.

وعليه طرحت عدة إشكالات أهمها:

- ما مفهوم المحنة؟ وإلى أي مدى استطاع الروائي واسيني الأعرج أن يعبر عن واقع المحنة التي عاشتها الجزائر من خلال العمل الروائي؟.

ومن دوافع اختياري لهذا الموضوع أرجع الفضل إلى الأستاذ "مهدي عمار"، وذلك إيمانا منه بضرورة البحث في هذا الموضوع لأهميته والعمل على إثرائه، وقد رحبت بالموضوع لأنني أفضل قراءة الرواية على باقي الأجناس الأدبية، أما السبب الموضوعي أن رواية "مملكة الفراشة" لواسيني الأعرج رصدت معاناة المجتمع الجزائري في ظل الظروف الصعبة في فترة الحرب الأهلية (الصامتة)، خاصة أنها كتبت في الوقت الراهن، وكونها رواية جزائرية تحصلت على جائزة "كتارا" العربية بالدوحة، وكذلك قلة الدراسات لهذا الموضوع. أما المنهج الذي اتبعته في دراستي فهو المنهج الوصفي كونه الأنسب لهذه الدراسة، حيث قسمت بحثي إلى فصلين ومقدمة وخاتمة.

مهدت بمدخل عن نشأة الرواية الجزائرية والتي تمثلت في لمحة عن أهم المراحل التي مرت بها الرواية الجزائرية منذ بداياتها. أما الفصل الأول الموسوم بماهية المحنة خصصته لمفاهيم أساسية يرتكز عليه البحث، وهي تعريف المحنة لغة واصطلاحا، ثم تطرقت لهذه المحنة كمرحلة تاريخية، وتجلياتها على الرواية الجزائرية.

أما الفصل الثاني وُسِمَ بالمحنة من خلال رواية مملكة الفراشة، بدأته بتمهيد عن الإرهاب في الرواية الجزائرية، ثم مظاهر المحنة في رواية مملكة الفراشة عن طريق دراسة للموضوعات البارزة في الرواية وأهمها: الإيديولوجيا، التيمات (الإرهاب، الموت، قتل المثقف)، والنزوع الدرامي داخل الرواية حيث تتحول الرواية إلى مبنى درامي تحافظ على وحدات تحقق المحاكاة، من خلال وحدة العمل والزمن.

وتأتي الخاتمة في الأخير التي احتوت على أهم النتائج المتوصل إليها في البحث. وعلى هذا الأساس كان لابد من الاستناد إلى مصادر ومراجع رسمت طريق هذا البحث تمثلت في المصدر الرئيسي: "رواية مملكة الفراشة" لواسيني الأعرج، أما عن المراجع فقد

استعنت بمجموعة من المراجع أهمها: "علي حرب أزمة الحداثة الفارقة، علي تميم السرد والظاهرة الدرامية، بوشوشة بن جمعة سردية التجريب وحداثة السردية في الرواية العربية".

ففي هذه الدراسة واجهتني عدة صعوبات أهمها:

- قلة المراجع في هذا الموضوع في حدود إطلاعي.

- قلة الدراسة لهذا الموضوع، وكذلك المدونة.

وفي الأخير أتقدم بجزيل الشكر لأستاذي الفاضل الدكتور "مهدي عمار" على قبوله

الإشراف على هذا البحث ومرافقته بتوجيهاته ونصائحه في جميع أطواره ومراحله.

مدخل

نشأة وتطور الرواية الجزائرية

أولاً: النشأة والتطور

ثانياً: نشأة فن الرواية في الجزائر

أولاً: النشأة والتطور

لم تحقق الرواية باعتبارها جنساً أدبياً مستقلاً، وتتميز بوجودها وشكلها الخاص في الأدب الغربي والعربي إلا في العصر الحديث.

تبدأ الرواية في أوروبا منذ القرن الثامن عشر حاملة رسالة جديدة، هي التعبير عن روح العصر، وهناك من يعتبر رواية "دونكيشوت" "لسيرفانتس" أول رواية فنية في أوروبا كونها تعتمد على المغامرة والفردية، وهناك من يقول أن الرواية لها جذور وأصول في الأدب العربي، الذي عرف الفن ممثلاً في بعض ما جاء في كتب الجاحظ وابن المقفع ومقامات بديع الزمان الهمداني والحريري، لكن البعض يرى أن الرواية فن مأخوذ عن الغرب، وقد سئل الأديب الجزائري "الطاهر وطار" عن واقع الرواية العربية فرد: "الرواية بالأصل فن، لا نقول دخيل على اللغة العربية وإنما فن جديد في الأدب العربي اكتشفه العرب فتبنوه مثلما اكتشفوا في بدء نهضتهم المنطق فتبنوه والفلسفة فتبنوها".¹

ويرى الدارسون أن كتاب الطهطاوي "تلخيص الإبريز في تلخيص باریس" مطلع الفن القصصي في الأدب العربي الحديث، ثم رواية "زينب" لمحمد حسين هيكل، فقد عدوها إرهاباً أولاً لظهور الرواية العربية، ولذلك يرى الباحثون المصريون على وجه الخصوص يجعلون من مصر الرائدة في مجال الرواية، رغم انتقادات بعض الدارسين منهم بطرس خلاق في كون رواية "زينب" فتحاً في الأدب العربي إلا أن بقية الأقطار قد عرفت نشأة الرواية بعد ذلك ولم تعرفها في زمن واحد.²

- صالح مفقودة: نشأة الرواية العربية في الجزائر - التأسيس والتأصيل - مجلة المخبر، العدد الثاني، 2005،¹

ص 12.

- نفسه، ص 15.²



ثانيا: نشأة فن الرواية في الجزائر

إن نشأة الرواية الجزائرية غير مفصولة عن نشأتها في الوطن العربي، حيث لها جذور عربية وإسلامية مشتركة كصيغ القصص القرآني والسيرة النبوية ومقامات الهمداني والحريبي والرسائل والرحلات .

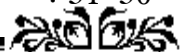
وقد كان أول عمل في الأدب الجزائري ينحو نحو روايا هو "حكاية العشاق في الحب والاشتياق" لصاحبه "محمد بن إبراهيم" سنة 1849م، تبعته محاولات أخرى في شكل رحلات ذات طابع قصصي منها ثلاث رحلات جزائرية إلى باريس سنوات 1852م-1878م-1902م¹، تلتها نصوص أخرى كان أصحابها لا يملكون القدر الكافي من الوعي بمسالك هذا النوع الأدبي، مثلما تجسد في نصوص "غادة أم القرى" سنة 1947م لأحمد رضا حوحو، و"الطالب المنكوب" سنة 1951م لعبد المجيد الشافعي، و"الحريق" سنة 1957م لنور الدين بوجدر، و"صوت الغرام" سنة 1967م لمحمد منيع، إلا أن البداية الفنية التي يمكن أن تؤرخ في ضوءها لزمان تأسيس الرواية في الأدب الجزائري اقترنت بظهور نص "ريح الجنوب" سنة 1971م لعبد الحميد بن هدوقة.²

لقد سائرت الرواية الجزائرية الواقع ونقلت مختلف التغيرات التي طرأت على المجتمع بحكم الظروف والعوامل، التي أسهمت في إحداث هذا التغيير ومن الملاحظ أن الرواية الجزائرية قد صبغت بصبغة ثورية كما سائرت النظام الاشتراكي، وهذا ما نجده في عقد السبعينيات ودخلت الرواية في ما بعد مرحلة جديدة فيها ثورة ونضال وانهازم، إذ انطلق الكاتب من الواقع الذي عاشه وعائشه في زمن الأزمة فاصطلح عليه بأدب الأزمة.³

1 - عمر بن قينة: في الأدب الحديث تاريخا وأنواعا وقضايا وإعلام، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون، الجزائر، ط1، 1995، ص 197-198.

2 - بن جمعة بوشوشة: سردية التجريب وحادثة السردية في الرواية العربية الجزائرية، المطبعة المغاربية، للطباعة والنشر، تونس، ط1، 2005، ص 07.

3 - إدريس بوديبة: الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، ط1، 2000، ص3



وسبق أن عرفنا أن مرحلة السبعينيات كانت المرحلة الفعلية لظهور رواية فنية ناضجة، وذلك من خلال أعمال عبد الحميد بن هدوقة في ربح الجنوب، وما تذروه الرياح لمحمد عرعار، واللاز والزلزال للطاهر وطار، وبظهور هذه الأعمال أمكننا الحديث عن تجربة روائية جديدة متقدمة.

إن من سمات الرواية في هذه الفترة الطرح والمغامرة الفنية، وهذا راجع إلى الحرية التي اكتسبها الكاتب بفعل الواقع السياسي الجديد، الذي كان مناقضا للواقع الاستعماري قبل هذه الفترة، على اعتبار أن الكتابة فن لا يزدهر إلا في ظل الحرية والانفتاح إن الطابع السياسي الذي انطبعت به النصوص الروائية في هذه الفترة جاء كحتمية لتكيفية ثقافة الرواد الأوائل الذين كان لهم سبق في تأسيس الرواية الجديدة الحديثة.¹

لقد كتب "ابن هدوقة" رواية "ربح الجنوب" سنة 1970م، في فترة الحديث عن الثورة الزراعية فالرواية بمحيطها وشخصياتها تعبير عن وضع ريفي في بداية السبعينيات يتخبط في بحر الهموم والمشاكل متأملا في تغيير جذري تجسد في المشروع الجديد المتمثل في الثورة الزراعية.

أما الطاهر وطار فقد جاءت أعماله لتؤرخ لكل التغييرات والتطورات الحاصلة في المجتمع الجزائري منذ الثورة المسلحة إلى غاية الاستقلال²، إذ كانت رواية "اللاز" قد صورت لنا مرحلة من مراحل الثورة، فإن روايته الأخرى "الزلزال" تصور الواقع الاجتماعي والاقتصادي المنهار، فقد صور لنا الكاتب في روايته حكاية إقطاعي جاء من العاصمة ليحتمي أملاكه من شبح الثورة الزراعية .

وهذا باختصار بعض المضامين للنصوص الروائية، التي ظهرت خلال هذه الفترة التي كانت كلها تسير في فلك الإيديولوجية الاشتراكية المتبناة من طرف الدولة من أجل بناء الدولة الجزائرية الجديدة، بعد أن أحرزت الاستقلال وقد ساهمت الرواية كجسر أدبي أدواتها اللغوية في رفع هذا الصرح .

- إدريس بوديبة: الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، ص 39-40-41.¹

- نفسه، ص 44-45.²



أما فترة الثمانينيات كانت التجربة الروائية للكتاب الجزائريين في هذه الفترة نتيجة للتحويلات التي حدثت في مجتمع الاستقلال، ومن التجارب الروائية نذكر منها روايات واسيني الأعرج مثل "وقع الأحذية الخشنة" سنة 1981م، و"أوجاع رجل غامر صوب البحر" سنة 1983م، ورواية "نوار اللوز" أو "تغريبة" لصالح بن عامر الزوفري سنة 1981م، كما كتب "الحبيب السايح" رواية "زمن التمرد" سنة 1985م، ورواية "حمائم الشفق" 1988م، كما كتب أيضا "مرزاق بقطاش" روايته "البزاق" سنة 1982م، و"عزوز الكايران" سنة 1989م.

فقد أخرج "رشيد بوجدره" عدة أعمال روائية نذكر من بينها رواية "التفكك" سنة 1982م و"المرث" سنة 1984م، و"معركة الزقاق" سنة 1986م¹، كما يتابع الطاهر وطار كتابة جزئه الثاني من رواية "اللاز" وهي "تجربة العشق والموت في زمن الحراشي" سنة 1980م الذي يرسم فيه مآل الثورة بعد الاستقلال .

وما يلفت النظر في هذه التجارب الروائية هو السعي الجاد من رواد الرواية الجزائرية إلى الانخراط ضمن التوجه الجديد، في الممارسة الروائية والاستفادة من تقنيات الرواية الجديدة سواء العربية منها أو العالمية .

شهد عقد الثمانينات ظهور عدد مهم من الروايات ذات القيمة المحدودة فكريا وجماليا بسبب عدم امتلاك أصحابها عناصر الوعي والإدراك الضرورية، لفهم طبيعة تحولات المجتمع الجزائري وإدراك خلفيات ما يعيشه من صراعات وتناقضات زمن الاستقلال، إضافة إلى عدم توفرهم على شروط الوعي النظري للممارسة الروائية، ولهذا جاءت نصوصهم الروائية باهتة على صعيد الكتابة، وساذجة في التعبير عن الموقف من واقع الجزائر في ميزه مناظر وصور تأزم متأنية من تهافت أشكال الممارسة السياسية للسلطة الحاكمة.²

وما نلاحظه على الكثير من هذه النصوص هو احتفاؤها بموضوع الثورة وتفجيرها، وقد تحقق الاستقلال من منظور ذاتي ضخم، وعظمتها إلى حد اعتبارها أسطورة، ونزه الرجال الذين قاموا بها، وهذا ما تعكسه روايات "الانفجار" في سنة 1984م، وهموم "الزمن

- بن جمعة بوشوشة: سردية التحريب وحادثة السردية في الرواية العربية الجزائرية، ص 09.¹

- نفسه، ص 11.²



مدخل _____ نشأة وتطور الرواية الجزائرية

الفلاقي" في سنة 1985م، "بيت الحمراء" في سنة 1986م، "الانهيار" في سنة 1986م، ورواية "زمن العشق والأخطار" في سنة 1988م، و"خيرة والجبال" في سنة 1988م، لمحمد مفلح، و"الألواح تحترق" سنة 1982م لمحمد رتيلي، و"الضحية" سنة 1984م لحيدوس رابح، وأخيرا "تتلاها الشمس" سنة 1989م لمحمد مرتاض، وغيرها من النصوص الروائية التي أسهمت في تكريس إيديولوجية السلطة المهيمنة، وهو الموقف الذي لم تلتزم به الكثير من التجارب الروائية، التي تناولت هي الأخرى ثورة التحرير والاستقلال وبعده ومن منظور نقدي، وهو ما عبرت عنه تجارب الطاهر وطار وواسيني الأعرج، ورشيد بوجدره وجيلالي خلاص، ولحبيب السايح وغيرهم من كتاب هذا الجيل الجديد.¹

لقد كانت فترة التسعينات حافلة بالروايات التي تحاول أن تؤسس لنص روائي يبحث عن تميز إبداعي مرتبط ارتباطا عضويا بتميز المرحلة التاريخية، التي أنتجته وبالواقع الاجتماعي الذي شكل الأرضية التي استطاع من خلالها الروائيون أن يستلهموا الأحداث والشخصيات من الظرف التاريخي الصعب الذي مروا به، وما تردد في روايات التسعينات تصوير وضعية المثقف الذي وجد نفسه سجين بين نار السلطة وجحيم الإرهاب، سواء أكان أستاذا أم كاتباً أم صحفياً أم رساما أم موظفاً، فإنهم يشتركون جميعا في المطاردة والتخفي وهم يشعرون دوماً أن الموت يلاحقهم.²

بعد الأزمة التي عصفت بالمجتمع الجزائري خلال السنوات الماضية، والتي مست كل طبقات المجتمع أخذت الرواية منعرجا آخر عالج موضوع الأزمة وآثارها، فأتخذت رواية الأزمة من المحنة الجزائرية مدارا لها.

فمعظم الروايات في هذه الفترة تعاطت موضوع العنف السياسي وآثاره اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا، حيث يلتقي الطاهر وطار في الشمعة والدهاليز مع واسيني الأعرج في "سيدة المقام" في البحث عن جذور الأزمة وفضح الممارسات التي تبعتها، كما جسدها آخرون كإبراهيم سعدي في "فتاوى زمن الموت"، ومحمد ساري في "الورم"، ويشير مفتي في

- بن جمعة بوشوشة: سردية التجريب وحدائث السردية في الرواية العربية الجزائرية، ص 10.¹

- حسين خمري: فضاء المتخيل مقارنة في الرواية، منشورات الاختلاف، ط1، 2002، ص 111.²



مدخل _____ نشأة وتطور الرواية الجزائرية

"المراسيم والجنائز" فمثلا في سيدة المقام يصور لنا واسيني الأعرج معاناة مريم التي ترمز للمرأة الجزائرية الصامدة، ويرجع سبب هذه المعاناة إلى النظام والتيار المعادي لكل مظاهر التقدم والتحضر.¹

وتصور لنا فضيلة فاروق حياة صحفية جزائرية في شرق البلاد من خلال روايتها "تاء الخجل"، إذ تحقق في عملية انتحار فتاة لتصل إلى حقيقة أنها قفزت من أحد جسور قسنطينة تلبية لرغبة والدها، إذ أنها اغتصبت من طرف جماعة إرهابية لتبدأ فيما بعد الاغتصابات الجماعية في جزائر التسعينات.

إذا فالرواية هي شهادة على واقع، وشهادة على حضور ذات المثقف المعذبة فهي تجسد في أحد أوجهها حضور المثقف، ومحنته في رواية الأزمة إنها ثقافة الوطن المجرع . وما نلخص إليه أن الرواية الجزائرية قد واكبت جل التحولات السياسية الطارئة على المجتمع الجزائري في مراحلها المختلفة، إما على المستوى الأدبي فقد تميز بظهور نمط جديد من الكتابة الروائية وهو رواية المحنة أو الأزمة، التي خاض فيها العديد من الروائيين الكبار أمثال واسيني الأعرج، وأحلام مستغانمي، ورشيد بوجدره، والطاهر وطار، وبشير مفتي.

- آمنة بلعلي: المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف، دار الأمل للنشر والتوزيع، دط،¹



الفصل الأول

ماهية أدب المحنة

أولاً: مفهوم المحنة.

ثانياً: المحنة كمرحلة تاريخية.

ثالثاً: المحنة وتجلياتها على

الرواية.

تمهيد:

لقد كانت فترة التسعينات حافلة بالروايات التي تحاول أن تؤسس لنص روائي يبحث عن تميز إبداعي مرتبط ارتباطا عضويا بتميز المرحلة التاريخية التي أنتجته، وبالواقع الاجتماعي الذي شكل الأرضية التي استطاع من خلالها الروائيون أن يستلهموا الأحداث والشخصيات من أجل قراءة الحادثة التاريخية قراءة مرهونة بالظرف التاريخي الصعب. وبعد الأزمة التي عصفت بالمجتمع الجزائري خلال السنوات الماضية، والتي مست كل طبقات المجتمع، أخذت الرواية منعدجا آخر عالج موضوع الأزمة وآثارها، فاتخذت رواية الأزمة من المحنة أو مأساة الجزائرية مدارا لها، منها تتولد أسئلة متنها الحكائي في أحضانها تتشكل مختلف عناصر سردها.



أولاً: مفهوم المحنة

أ- لغة:

جاء في لسان العرب معنى محن المحنة الخبرة، وقد امتحنه وامتنح القول نظر فيه ودبره التهذيب، أن عتبة بن عبد السلمي وكان من أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، حدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "القتلى ثلاثة رجل مؤمن جاهد بنفسه وماله في سبيل الله حتى إذا لقي العدو قاتلهم حتى يقتل فذلك الشهيد الممتحن في جنة الله تحت عرشه"، لقوله في جنة الله تحت عرشه الذي في نسخة التهذيب في خيمة الله لا يفضله النبيون إلا بدرجة النبوة، قال شمر قوله فذلك الشهيد الممتحن هو المصطفى المهذب المخلص، من مَحَنَتُ الفضة إذا صفيتها وخلصها بالنار، وروي عن مجاهد في قوله تعالى: **إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى ۗ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ** الحجرات: 03

قال خلص الله قلوبهم، وقال أبو عبيدة امتحن الله قلوبهم صفاها وهذبها، وقال غيره الموطأ المذل وقيل معنى قوله تعالى شرح الله قلوبهم كأن معناه وسع الله قلوبهم للتقوى، وامتنحنه بمنزلة خبرته واختبرته وبلوته وابتليته، وأصل المحن الضرب بالسوط وامتنحت الفضة إذا أدبتها لأختبرها والاسم المحنة، والمحن العطية وأتيت فلانا فما منحني شيئاً وفي الحديث الشعبي المحنة بدعة.

قال ابن جني محونته عاره وتباعته يجوز أن يكون مشتقا من المحنة لأن العار أشد من المحن، وامتنحت الكلمة أي نظرت إلى ما يصير صيورها، والمحن النكاح الشديد ومحنه عشرين سوطاً ضربه ومحن السوط لينه.

ومَحَنَتُ البئر أخرجت ترابها طينها .وجلد ممتحن مقشور. ¹

— أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور: لسان العرب، باب الميم، مادة محن، ج 14، دار صادر، ¹ بيروت، 2003، ص 4150.



أما معجم الوسيط: فلان محنه خبره وجبره، فاشتد في تعذيبه ومحن الفضة خالصها وصفها بالنار، والأديم لينه ومدده حتى وسعه فلان وقع في محنة فهو ممحون .

- امتحن فلانا اختبره، والشيء نظر فيه ودبره.

- الامتحان: الاختبار والابتلاء.

- المحنة: البلاء والشدة ج محن.¹

ومن خلال المعنى اللغوي للمحنة يتبين لنا أن المحنة في اللغة وردت بمعنى الاختبار والابتلاء والتمحيص والامتحان، كما تأتي المحن في اللغة بمعنى العطية والضرب، واللين، والعار، والبدعة، والتصفية من الشوائب وغيرها.

ب- اصطلاحا:

وما نلاحظه أن الشروح اللغوية قربت بين المعنى اللغوي والاصطلاحي لكلمة المحنة، وساعدتنا على كشف المعنى الاصطلاحي لها الذي يصب في الشدة واختبار على الإنسان، وابتلاؤه وتمحيصه في دينه أو نفسه أو أهله أو ماله، يعرف بها صبره أو عدمه من خلال هذه المحنة فإذا حلت به وقعت عليه كالنار.

وقد تكون هذه المحنة شدة أو ابتلاء لمجتمع ما فتغير ظروفه التي كان يعيشها من حالة الاستقرار إلى اللاإستقرار، ومن الحسن إلى الأسوأ وتغير مفاجئ ينتاب المجتمعات فتتحول من حاله الاستقرار إلى حاله اللاإستقرار والفوضى، ويسود فيه قانون لم تألفه الأمة سمي قانون الغابة والغلبة للأقوى.²

والملاحظ أن كلمة المحنة لديها عدة مرادفات: الأزمة، المأساة، النكسة... وقد شهد العالم بأسره عدة أزمات في تاريخه، وهي الأزمة الاقتصادية لأن الأزمة مرتبطة أساسا

- إبراهيم أحمد الزيات وآخرون: معجم الوسيط، تح مجمع اللغة العربية، باب الميم، مادة محن، ج3، مكتبة مشكاة¹ الإسلامية، ص 526.

- عبد اللطيف جني: الرواية الجزائرية بين الأزمة وفاعلية الكتابة ضمن أعمال الملتقى الوطني الثاني في الأدب² الجزائري بين الخطاب والأزمة ووعي الكتابة، يومي 16-17-2009، دار سوق، ص 269.



بالناحية الاقتصادية... وقد تكون على الصعيد السياسي مثلما تشهده في مختلف بلدان العالم وتسمي بالأزمة السياسية.

الجزائر لم تسلم من هذه الأزمة خاصة السياسية والأمنية منها، بحيث أضحت مسرحا خصبا لها وللإرهاب والقتل والجريمة، لذلك لم تكن الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية بعيدة عن تيارات الأزمة حاورت مظاهر الأزمة والمحنة بأساليب مختلفة، تحول اهتمام جل الكتاب إلى التعبير عن الحالة الراهنة والأزمة والمستعصية والمتشعبة، وقد كان لتضخم مناخات الإرهاب واحتداد المحنة دور في ظهور شكل روائي جديد أطلقت عليه تسمية "رواية المحنة"، ليتخذ من الأزمة والمحنة الجزائرية سؤالا مركزيا لمتنها الحكائي، تتوالد منه تيمات الموت والإرهاب والعنف والرعب والمنفى.

وهي تيمات جديدة وسمت الرواية الجزائرية بمناخات المحنة والفاجعة والمأساة، ليبقى السؤال المركزي لأغلب النصوص الروائية التي ظهرت في هذه المرحلة، والذي تدور في فلكه كل الأسئلة يتعلق بسؤال المحنة والأزمة، وتحولت الثنائية من أزمة الأدب إلى أدب الأزمة أو أدب المحنة، عندما نسمي هذا الأدب الجديد بأدب المحنة ليس بالضرورة أن يكون تناول بصورة واضحة للأزمة بل تفاعله مع إفرازاتها والوضعيات المختلفة التي أنتجتها وأنتجت أناسها وسلوكاتها وذهنياتها الجديدة.¹

- حفناوي بعلي: هاجس الحداثة وإشكالية العنف في رواية جيل الأزمة، في مجلة الملتقى الدولي الثامن للرواية عبد¹

ثانيا: المحنة كمرحلة تاريخية

لكل ظاهرة بداية ونهاية وكيف لا والأزمة في الجزائر لم تولد من العدم، يجب أن يكون هناك روافد داخلية وخارجية، وربما تكون عبارة عن رؤية فلسفية هدفها الوصول إلى شيء ما، والسؤال المطروح هنا متى كانت البدايات الأولى للأزمة في الجزائر؟ وما هي المراحل الأساسية التي مرت بها حتى وصلت إلى العنف المسلح الذي تجسد في التسعينيات؟¹

وللإجابة عن هذه الأسئلة يجب تتبع الأزمة في الجزائر تاريخيا، ويبدو أنها تجلت في ثلاث مراحل أساسية هي مرحلة الأصولية والتطرف، ثم مرحلة أحداث 05 أكتوبر 1988، فمرحلة العنف المسلح في الجزائر من 1992م إلى 2002م.

وقبل الخوض في غمار هذا الطرح لابد من التطرق إلى ماهية الإرهاب أولا باعتباره بؤرة المحنة في الجزائر.

1_ ماهية الإرهاب

أحداث صادمة هنا وهناك، ما لا يرهب منها بالقتل والتدمير يرهب بالفقر والبطالة والجوع، أحداث تتداخل في الأزمات السياسية مع المصالح الاقتصادية والتنافرات العرفية يختلط ويتنافس الانتماء الوطني مع القومية، وقد يشتبك كلاهما مع الطائفة الدينية هذا الكم من العناصر المتداخلة يجعل تناول موضوع الإرهاب ليس فقط حساسا ولكنه أيضا معقد ومركب...²

إن ظاهرة الإرهاب ليست مسألة كباقي السياسات اليومية التي يتعرض لها العالم، بل تعتبر من أكثر المظاهر بروزا في الساحة الدولية في السنوات الأخيرة، وتتميز بكونها موضوعا حساسا في الدراسة والتعامل، فرغم أهمية تعريف الإرهاب كأسس لتحديد الظاهرة

- فاروق جقريب: أدب الأزمة في رواية ذاكرة الماء لواسيني الأعرج، رسالة ماجستير، جامعة ورقلة،¹ 2010-2011، ص 08 .

- ماجدة موريس إبراهيم: الإرهاب.. الظاهرة وأبعادها النفسية، دار الفارابي، الجزائر، ط1، 2008،²

ووضعها في سياقها العالم، إلا انه لا يوجد تعريف واحد محدد للظاهرة التي شغلت الأذهان وأفردت لها الدراسات والبحوث، فإذا تكلمنا عن الإرهاب يعني أننا نتحدث عن العنف، وهذا الأخير الذي يعتبر قديماً قدم الإنسان وما يهنا هنا هو مصطلح الإرهاب.

كلمة الإرهاب مصطلح حديث نسبياً يرجع تاريخه إلى القرن الثامن عشر ميلادي، عرفت هذه الكلمة أولاً إبان الثورة الفرنسية الكبرى وابتداءاً من 1794م، على وجه التحديد بدأ في استعمال كلمة الإرهاب في سياق سياسي بحت، وكان مدلولها السياسي قد ظهر نتيجة اختيار فكري وروحي داخل حياة اجتماعية راكدة ومشحونة بالقلق والمنغصات، وتشتق الكلمة الفرنسية (Terreur) بمعنى رهبة أو رعب من أصل لاتيني (Tersere)(Terrere) وهما فعلاان يفيدان معنى جعله يرتعد ويرتجف، ومن المفردات المشتقة من هذين الفعلين (Terror) جاء لكلمة (Terror) في قاموس الأكاديمية الفرنسية الذي نشر في 1694م، أما التفسير الثاني رعب وخوف شديد، اضطراب شديد تحدثه في النفس صورة شر، حاجز، أو خطر قريب، وهي تقابل في اللغة العربية رهبة، رهبي، أو الحالة التي ترعب وتفرع.¹

وقد اختلفت تعاريفه حسب تغيرات مجريات العالم السياسي اليوم، فمفهوم الإرهاب تغير وأصبح يعني استخدام القوة والعنف من أجل تنفيذ مشروع إجرامي فردي أو جماعي، يهدف إلى الإخلال بالنظام العام وتعريض سلامة المجتمع وأمنه للخطر، لذلك تعرفه الجمعية العامة للأمم المتحدة بطريقة موسعة على أنه: "يشمل الأعمال والوسائل والممارسات غير المبررة التي تستثير فزع الجمهور ومجموعة من الأشخاص لأسباب سياسية بصرف النظر عن بواعثه المختلفة".²

1- ماجدة موريس إبراهيم: الإرهاب.. الظاهرة وأبعادها النفسية، ص 25.

2- ثامر إبراهيم الجهماني: مفهوم الإرهاب في القانون الدولي، دار الكتاب العربي دار حوران، الجزائر، ط1، 2002، ص 19.



وللإرهاب عدة أشكال كالاغتيالات والمذابح الجماعية واختطاف واحتجاز الرهائن والاعتصاب، بالإضافة إلى أن الإرهاب يتجاوز كل عمل عنفي لما يتركه من آثار سياسية ونفسية واجتماعية واقتصادية على الشعوب التي تعاني منه فهو يهدف إلى جعل أكبر عدد من الناس يحسون أنهم مهددون في أي عملية إرهابية.

- الأصولية والتطرف

إن ظاهرة الأصولية أو بالأصح ظاهرة المد الأصولي الذي تعرفه المجتمعات الإسلامية والعربية، خاصة بعد نجاح الثورة الإيرانية سنة 1979م، أدت إلى زيادة الاهتمام بمسألة الإسلام السياسي وما يعرف بالحركات الإسلامية، مع زيادة الاهتمام بموضوع الإرهاب الذي يحاول البعض إلصاقه بالإسلام حتى صار مفهوم الإسلام عند الأمريكان مثلاً مرادفاً للعنف وصار كل مسلم إرهابي أو هو مشروع إرهابي خاصة أحداث 2001/09/11م، وما رافقها من هجمات إعلامية على الإسلام¹.

فالمتمترق لموضوع الأصولية والإسلام السياسي والإرهاب يصادف في طريقه العديد من الصعوبات والمزالق نظراً للغموض والالتباس الذي يحيط بالموضوع بدءاً بالتسمية في حد ذاتها، فنجد من يستعمل لفظ الإسلام السياسي أو الحركات الإسلامية أو الحركات الأصولية .

أما مصطلح الأصولية فهو كذلك نجد فيه التباس، إذ كان يطلق لفظ الأصولي على "العالم المشتغل بأصول الفقه بما هو عالم يهتم بكيفية استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها اليقينية"، كما أطلقت على عالم الكلام بوصفه يهتم بالدفاع عن العقائد الإيمانية للأدلة العقلية، أما الأصولي كما تستخدم اليوم فإنها تطلق على الدعاة والمناضلين المنخرطين في التنظيمات والأحزاب الإسلامية العقائدية والسياسية، والذين يؤثرون تسمية أنفسهم مجاهدين أو جهاديين.

- فاروق جقريب: أدب الأزمة في رواية ذاكرة الماء لواسيني الأعرج، ص 11.

والشخص الأصولي هو الذي يتوقف بفكره عند شخص أو نص أو من زمن أو حدث يتعلق به أو يتماشى معه، لكي يتخذه وكأنه المرجع أو النموذج أو الأساس أو المعيار في النظر أو العمل، إنه من ختم على عقله بختم عقيدته أو فلسفته أو إيديولوجيتها المحصلة، لذلك هي المحافظة والانغلاق أو التقليد والحراسة باستبعاد ما تولده الحياة من التنوع والثراء وإدانة المختلف، أو السعي لاستئصاله لتكوين مجتمع أفراده نسخ من بعضهم البعض.¹

فالأصولي في أي بقعة من العالم يهدف إلى محاربة كل فكر مغاير، ويصبح كل آخر مختلف منهما بمخالفة الجماعة، وبالتالي هو مشروع سجين أو مضطهد أو قتل، ويصبح الأصولي منطقة المتميز بالثبات والانغلاق والأحادية والإقصاء والتطرف مستعدا لكي يشوه الآخر ويدمره.

كثيرا ما يتداول بعض الإسلاميون مصطلح الصحة الإسلامية على الحركة الإسلامية التي ينتمي إليها، ويقصدون بها إقامة دولة إسلامية على شكل الخلافة الإسلامية، وبذلك إعادة عهد السلف الصالح، والذي كما نعلم هو الفترة التي تمتد من النبي صلى الله عليه وسلم ثم الصحابة فالتابعين وأتباع التابعين.

ورواد السلفية هم في الحقيقة الحنابلة، وفي مقدمتهم ابن تيمية (1263-1328) وابن القيم الجوزية (192-1350)، ويلقب ابن تيمية بمجدد القرن السابع، والتجديد هنا هو العودة إلى الإسلام في نقائه وقبل أن يتلوث بالبدع، ويعنى ذلك أن الإرادة الإلهية لن تتحقق

¹ علي حرب: أزمة الحداثة الفارقة، الإرهاب، الإصلاح، الشراكة، المركز الثقافي العربي ببيروت، الدار البيضاء، د ط،



بإتباع الشريعة كوسيلة لخلاص الفرد، ولكن بتأسيس مجتمع فاضل بفضل الإرادة الجماعية للأمة.¹

فأحمد بن حنبل هو أحد مؤسسي المذاهب الفقهية الأربعة في الإسلام السني، وهو في مذهبه الأكثر تشدداً من باقي المذاهب الحنفية المالكية والشافعية، وهو يدعو ويشدد في مذهبه على العودة كلياً إلى النص والسير على خطي السلف الصالح.

لذلك فقد خرجت الحركة الأصولية من تحت عباءة الدعوة السلفية الإصلاحية والتي كانت تدعو إلى العودة إلى الإسلام في نقائه الأول ومحاربة البدع التي تأثرت بالدعوة الوهابية في المملكة العربية السعودية، وهي الدعوة المتأثرة بأفكار ابن تيمية، بل والمتشددة في ما تساهل فيه ابن حنبل وابن تيمية .

وقد مثل الأمة الإصلاحية في مطلع القرن العشرين أتباع هذا التيار من أمثال: جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، ورشيد رضا، وهذا الأخير أثر في حسن النبا الذي يعتبر الأب الروحي لكل التيارات الإسلامية في العالم العربي، وبعد وفاته خلفه سيد قطب الذي سلك نفس منهجه، والذي ظهر دوره واضحاً في أثناء سنوات المحنة، ثم بدأت تظهر انقسامات وسط الجماعات الإسلامية وبأسماء مختلفة، والملاحظ على هذه الجماعات المتعددة اشتراكها في الأصل واختلافها من حيث منهجها وإستراتيجية عملها، ويمكن تصنيفها إلى تيارين بارزين هما: التيار الإخواني وكما يوصف بالتيار الإصلاحية، الذي يدعو إلى الممارسة السياسية التقليدية السلمية، أما التيار الراديكالي المسلح والذي يدعو إلى انتهاج إستراتيجية الجهاد والقتال والاعتقال .

وقد عرفت الجزائر كلا التيارين الإسلاميين المعتدل والراديكالي المتطرف، من الممكن أن نلمس جذور تنظيمات التيار الإسلامي في فترة الاحتلال الفرنسي مع جمعية العلماء المسلمين، خاصة أعمال الشيخ عبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي، اللذان نذرا

— مراد وهبة ومنى بوسنة: الأصولية والعلمانية في الشرق الأوسط، دار قباء، القاهرة، ط14، 1999م،¹

نفسيهما لترصين الموقف الوطني الشعبي باتجاه الآثار الحضارية للاستعمار الفرنسي وتعبئة الرأي العام من أجل حماية الدين واللغة العربية من الممارسات المنافية لهما وللانتماء الوطني.¹

وفي السنوات الأولى للاستقلال شكلت الجزائر أرضية خصبة لزرع أفكار الجماعات الإسلامية، خاصة مع استقدام عدة أساتذة ومعلمين من الدول العربية منها سوريا ومصر، وكان معظمهم متشبعين بفكر الإخوان المسلمين، ومع تهميش دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي اختارت صف معارضة النظام القائم، وكل هذه الظروف أدت إلى انتشار الفكر الإخواني المعتدل والمتطرف وبدأ عمل الحركة بشكل رسمي.²

2_ أحداث 05 أكتوبر 1988

تعتبر أحداث 05 أكتوبر 1988م، حدثا بارزا في ذهنية الشعب الجزائري لما له من آثار نفسية، وتغيرات مست جل القطاعات على غرار الانتقال من النظام الاشتراكي في السياسة والاقتصاد إلى النظام الليبرالي بقواعده الأساسية: الاقتصاد الحر والتعددية السياسية فكان لازما على الجزائر مواكبة هذا التاريخ الملغم.

فهذه الأحداث لم تكن عفوية بكاملها إذا لا يعقل أن تمس الأحداث كامل التراب الوطني في نفس التوقيت، ويسيطر شباب غاضب على عاصمة البلاد السياسية والاقتصادية، وأن تكون هذه الأحداث سببا في إجراء إصلاحات سياسية واقتصادية ضخمة نقلت الجزائر من النقيض إلى النقيض³، كما يرى أحمد طالب الإبراهيمي الذي كان وزيرا للخارجية آنذاك أن لأحداث أكتوبر 1988م جانبيين جانبا تلقائيا يتعلق بابتعاد الدولة عن تطبيق العدالة

1 - علي حرب: أزمة الحداثة الفارقة، الإرهاب، الإصلاح، الشراكة، ص 25.

2 - نفسه، ص 54.

3 - نفسه، ص 54.



الاجتماعية واتساع الهوى بين الحاكم والمحكوم، وجانباً مفتعلاً يتصل برغبة بعض أطراف السلطة في تغيير خط جبهة التحرير نحو الليبرالية قلب تحالفات الدولة الخارجية.¹ ويرى ملاحظون أن هذه الأحداث كانت صداماً بين أطراف السلطة متمثلة في جماعة الإصلاحيين، التي كانت تريد تغيير الواقع السياسي والاقتصادي، ولكنها كانت تجد المعارضة من طرف المحافظين على رأسهم بعض أعضاء المجلس السياسي لحزب جبهة التحرير الوطني، ويرى خالد نزار الذي كان في ذلك الوقت قائداً للقوات السرية ثم أصبح وزير الدفاع أن أحداث 05 أكتوبر 1988م لم تكن عفوية من تنظيم شباب مقهور، ولكنها كانت مؤامرة داخلية يهدف أصحابها من ورائها إلى إلغاء مؤتمر جبهة التحرير الوطني، الذي كان سيقر إصلاحات اقتصادية وسياسية، ومن خلال هذا التمرد كان الهدف هو قلب النظام للاستيلاء على السلطة.²

وقد تحول هذا الصدام من مسيرات الأحزاب والاعتصامات إلى عنف دموي مع الجماعات الإسلامية المسلحة بداية من سنة 1992م³، وسيبقى الحديث عن أكتوبر يطرح عدة أسئلة جوهرية حول كتابة التاريخ الجزائري الحديث والمعاصر، دون الوصول إلى أجوبة واضحة وشفافية باعتبار أن أكتوبر مازال في الأرشيف المكتوب.

3_ مرحلة العنف المسلح في الجزائر 1992 - 2002

لقد أدى إقرار التعددية السياسية في الجزائر وظهور الأحزاب السياسية إلى حركة واضحة في الشارع الجزائري، ومع ازدياد المسيرات التي كانت تنظمها الجبهة الإسلامية للإنقاذ يوم كل جمعية والتي استطاعت أن تحشد أعداداً كبيرة من المؤيدين لها، لتبدأ بذلك المحنة الحقيقية للجزائر ويمكن تقسيم هذه المرحلة إلى مراحل هي:

- محمد تامالت: الجزائر من فوق النيران - شهادات لجنرالات ورؤساء حكومات وزعماء أحزاب وشخصية من الجبهة الإسلامية للإنقاذ، الجزائر، 1999 ص 25.

- نفسه، ص 57.²

- إلياس بوكراع: الجزائر والرعب المقدس، دار الفارابي، بيروت، الجزائر، ط1، 2003، ص 283.³



3_1_ مرحلة نمو وانطلاق العنف الإرهابي 1993-1994م

مع حملة الاعتقالات الواسعة وفتح معسكرات في الجنوب الجزائري كان لازما على حزب الجبهة الإسلامية، فرأت أن هناك ملجأ وحيد هو العمل المسلح، وفي فيفري 1990م اكتملت مرحلة التحضير بعد الإعلان عن تشكيل أولى الجماعات الإسلامية المسلحة (الحركة الإسلامية المسلحة MIA)، التي بدأت تثبت وجودها عن طريق تخريب أملاك الدولة كتخريب المؤسسات الاقتصادية والمدارس والجسور وأنابيب النفط وشبكات الماء والكهرباء، إضافة إلى الهجمات بالقنابل التي مست المساجد والمباني ومراكز البلديات والبريد ...

وبداية من جانفي 1992م بدأ تسجيل عمليات إرهابية واغتيالات واسعة استهدفت في المرحلة الأولى إطارات وموظفي الدولة والمثقفين والأئمة والصحافيين، الذين اعتبرتهم الحركة الإسلامية أخطر فئة يجب القضاء عليها، ووجهت إنذار أخير إلى الصحافيين الذين يشنون حربا نفسيا ضد المجاهدين، وفي هذه الفترة أحصي في سنة 1992م تضاعف عدد القتلى عشرات المرات بين سنة وأخرى، نتيجة لظهور جماعات إرهابية غير حركة MIA، ونكلت بفضاعتها في تنفيذ جرائمها على ضحاياها كما شهدت هذه المرحلة اغتيال "محمد بوضياف" وأي اغتيال فقد حدث أمام كاميرات التلفزيون وعلى المباشر في عنابة يوم 29 جوان 1992م، وبهذا المشهد الأخير تكون الجزائر قد دخلت دوامة لم تكن باستطاعتها الخروج منها¹.

3_2_ مرحلة السيطرة والقوة 1995-1997م

شهدت هذه المرحلة همجية كلية للجماعات الإسلامية المسلحة على عدة مناطق في الجزائر، وتوسع أعمالها إلى مختلف المناطق فقد تمكنت التنظيمات الإرهابية خاصة الجماعات الإسلامية (GIA) من إحكامها سيطرتها على الوضع الأمني ومضاعفة أعمالها

- إلياس بوكراع: الجزائر والرعب المقدس، ص 284.¹



الإرهابية واعتداءاتها المسلحة، وخاصة بعد الانتخابات الرئاسية في نوفمبر 1995م واستفتاء تعديل الدستور 1996م.

كما عرفت هذه الفترة نموا خطيرا لظاهرة الإرهاب وما يدل عليه الخسائر المادية والبشرية، خاصة في صفوف المدنيين وحتى أفراد الجيش ورجال الأمن، كما أن ظاهرة الإرهاب في هذه الفترة اتخذت أشكالا جديدة في الإيقاع بالضحايا كتفجير السيارات والقنابل في الأماكن العمومية التي تشهد اكتظاظا كثيفا.

كما أنها اتخذت شكلا آخر أكثر خطورة وهي الحواجز المزيفة ومراقبة الجسور والمعابر الجماعية خاصة نهاية 1997م، إذ أصبح الأمر شديد الخطورة عندما شملت هذه المجازر الأبرياء والأطفال الرضع والنساء الحوامل والأجنة، ظنا منهم أن هذه المجازر ستقربهم إلى الله "ليست اغتيالاتنا ومجازرتنا وحرائفنا سوى قربا إلى الله..."، ليمنحنا القوة لقطع الرؤوس وتصفية المهترقين.¹

فالإرهاب يتصور قتل الجزائري هو تقرب إلى الله، لذلك فإنهم يفضلون القتل بالذبح بدل الرصاص ليتصوروا أنفسهم يذبحون قرابين بشرية تقربهم إلى الله.

إلى هنا تبدو الجماعات الإرهابية متحكمة في زمام الأمور أي باسطة سيطرة كلية على الوضع في الجزائر، وذلك من خلال النظرة الخارجية والعامية لما يحدث، لكن داخليا نلاحظ انشقاقات بالجملة في أواسط الجماعات الإسلامية، التي بدأت تطفو في الأفق خاصة، بعد إعلان الجبهة الإسلامية للإنقاذ الهدنة وتوقيف أعمالها الإرهابية بداية من أوت 1997، كما بدأ الاقتتال بين مختلف التنظيمات الإرهابية سواء من أجل السيطرة على المناطق أو الإدارة، وبذلك فهو إعلان عن بداية فقدان الجماعات الإسلامية لشرعيتها، وتخسر دعم السكان الذين بدؤوا يتخلون عن حقوقهم شيئا فشيئا، لتدخل الجماعات الإسلامية مرحلة جديدة من مراحلها.

- إلياس بوكراع: الجزائر والرعب المقدس، ص 304.¹

3_3_3_ مرحلة بداية تراجع وانشقاق الجماعات الإسلامية 1998م - 2000م

شهدت هذه المرحلة بداية انهيار الجماعات الإسلامية، خاصة بسبب الصراع الدائر بينها حتى داخل الجماعة الواحدة طمعا في الزعامة والإمارة لما تجلبه من غنائم أثناء أي عملية إرهابية.

وتتوالى الضربات المتتالية والحصار الذي فرضه الجيش الشعبي الوطني على معاقل الجماعات الإسلامية المسلحة، والقضاء على شبكات الدعم المادي، وهناك أيضا النصوص السياسية والقانونية التي صدرت بهدف العفو عن الإرهابيين كقانون الوثام المدني سنة 1999م، الشيء الذي ساهم في عودة واستسلام وتخلي العديد من الإرهابيين عن العمل المسلح وعودتهم إلى أهاليهم، بعدما كانوا مشتتين في الغابات سنوات طويلة ذاقوا خلالها الويلات جراء الحر والقر، وتضييق الخناق عليهم من طرف الجيش الشعبي الوطني .

ورغم كل هذه التطورات التي نعتبرها ربما إيجابية من الناحية المعنوية إلا أن سنة 1998م وفي شهر أوت بالذات ظهرت هناك جماعة إسلاموية مسلحة تواصل العمل الإرهابي إلى اليوم، وهي الجماعة السلفية للدعوة والقتال (GSPS) التي صنفتها الولايات المتحدة الأمريكية في لائحة الجماعات الإرهابية بسبب علاقتها مع تنظيم القاعدة .

وقد ظل عدد الضحايا مرتفعا في هذه الفترة، خاصة 1998 التي شهدت عدة مجازر جماعية التي راح ضحيتها آلاف الأشخاص، لتبدأ سنة المجازر تتضاءل سنة بعد سنة، وبذلك انخفاض عدد القتلى في هذه المرحلة ، رغم المجهودات الجبارة التي قامت بها الدولة جراء هذا الوضع وتحدياتها من الناحية السياسية من جهة والأمنية من جهة أخرى، إلا أن العمليات الإرهابية مازالت إلى يومنا هذا، وكل مرة نسجل ضحايا وبذلك فان الوضع في الجزائر مثل العجينة تتمكن منه من جهة فينفلت من الجهة الأخرى.¹

- فاروق جقريب: أدب الأزمة في رواية ذاكرة الماء لواسيني الأعرج، ص 20 .¹

ثالثا: المحنة وتجلياتها على الرواية

إن ظاهرة الإرهاب بكل أبعادها هي كل ما نتج عنها من جرائم شنيعة بقيت راسخة في القلوب والعقول، وقد يعادل وقع الثورة التحريرية في فضاءاتها ووحشيتها، لكن كل هذا لم يكن عائقا في وجه من أرادوا وضع هذه البصمات المدنسة على صفحات من ورق.

فإذا أردنا تقصي وجود هذا النوع من الكتابات في أدبنا فإننا نجد أنه يرجع إلى بداية السبعينيات، وجاء بشكل صريح في رواية الطاهر وطار "العشق والموت في زمن الحراشي"، فهذه الرواية تصور ذلك الصراع الذي كان يحدث بين حركة الإخوان المسلمين الذين كانوا يعادون التوجه الاشتراكي وبين المتطوعين لصالح الثورة الزراعية، والذين كانوا مدعومين سرّيا من طرف الطليعة الاشتراكية.¹

ويعتبر موضوع العشرية السوداء موضوعا أسال الكثير من الحبر لدى الروائيين الجزائريين، فقد استطاعت أعمالهم الروائية مواكبة جميع المستجدات، لتساهم بذلك في تسجيلها وحفظها في ذاكرة القارئ عبر مختلف الحقب الزمنية، والاطلاع على ما مرت به البلاد من وقائع أليمة فالرواية الجزائرية الجديدة أو رواية الأزمة تناولت صورا منقطة بالدمار والخراب والموت والهلع والخوف والحزن والأسى... ، فروايات هذه الحقبة الزمنية كانت بمثابة تأريخ لصور العنف والدمار الذي انعكس سلبيا على نفسية الأفراد من شيوخ وأطفال ونساء، وعند التأمل في سلوكيات الإرهابيين فهم يقتلون الأطفال ويأخذونهم من أحضان أمهاتهم من دون رافة أو رحمة، ويبجرون بطون النساء الحوامل من دون أدنى إحساس بالذنب، ويقتلون ويأخذون بعض الأعضاء من جسم الضحية مثل العين الكبد والقلب وتكون تعاويذ لهم.

1 - مخلوف عامر: أثر الإرهاب في الكتابة الروائية، مجلة عالم الفكر، مجلد، 28 عدد أول سبتمبر 1999م، ص 304.

والمتون الروائية قدمت تحليلاً وافياً للضرورة النفسية والعقد النفسية التي ترافق الفرد في حياته وتؤثر على نشأته.¹

فإن الإرهاب ليس حدثاً بسيطاً في حياة المجتمع، وقد لا يقاس بالمدة التي يستغرقها ولا بعدد الجرائم التي اقترفها بل بفضاعة ودرجة وحشيتها، وعندما يتعلق الأمر بالجزائر فإن الإرهاب يقاس خطورته بتلك المقاييس جميعاً، إذا استغرق مدة غير قصيرة وارتكب جرائم كبيرة بفضاعة بلغت أقصى ما بلغته المهجية.²

كما استخدم الإرهاب وسائل مختلفة في القتل كالرمي بالرصاص والذبح والنزوع إلى الهدم والتدمير وتفجير المطارات وإحراق المدارس...³

فالروائي هو البطل في كثير من الأحيان من خلال التعبير عن أوضاعه وأحاسيسه ومشاعره وعن مختلف ما عايشه من أحداث، لذا كانت الرواية المتنافس الوحيد لإبداع تجربته الذاتية التي تنزف حرقاً من تلك السنين السوداء التي تنبعث منها رائحة الموت والمجازر والتهميش، وأحداثاً أخرى أقل ما قيل عنها أنها همجية، لذا سألحوا الوقوف عند بعض الروايات التي تبعث بالأسى والحزن رغم أن جلها تحمل أحداثاً دامية مؤلمة اتجاه المجتمع.

فرواية "عقبات في طريق تميمون" لرشيد بوجدره صدرت عام 1994، أي الفترة الساخنة من جحيم الإرهاب فهي تصور مشهد اغتيال الأستاذ الذي هو رمز للتربية والعلم، فالإرهاب يصوب رصاصاً نحو أهل العلم والتنوير ليفرض حالة من الظلمة، كما يبرز وحشية العمل الإرهابي وانتقاله من القتل الفردي إلى القتل الجماعي وارتكاب المجازر الفظيعة باستعمال القنابل في الأماكن العمومية.⁴

— سعاد عبد الله العنزي: صور العنف السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة، دار الفراشة للطباعة والنشر، الكويت،¹ ط1، 2010، ص 33.

— مخلوف عامر: الرواية والتحويلات في الجزائر - دراسات نقدية في مضمون الرواية المكتوبة بالعربية - منشورات اتحاد² كتاب العرب، دمشق، سوريا، 2000، ص 94 .

— نفسه ص 98.³

— مخلوف عامر: أثر الإرهاب في الكتابة الروائية، مجلة عالم الفكر، ص 308.⁴



فالكاتب في أي مرحلة تاريخية ومن خلال موقعه الحساس الذي نجده في ثنايا عمله يعتنق القضايا المصيرية لشعبه، مبينا شعوره وعمق وعيه الذي ينعكس جليا على شخصياته.

فالرواية في هذه المرحلة كانت تبحث عن روح جديدة ومنتفس تنفث فيه مكبوتها الحضاري والتاريخي.

فاتسمت رواية التسعينيات بإدانة الواقع تجاه مظاهر الرداءة والنشاز، وهو ما يؤسس لحاله مأساوية فتصور المشاهد اليومية التي تراها عين الراوي وسردها بنبرة إدانية ناقمة، فالروائي لا يستطيع حذف الشحنة المأساوية التي كابدها، إلا أن المحنة تقاس بعمق محنته وحجم معاناته التي عاشها.

أما النموذج الثاني "الشمعة والدهاليز" للظاهر وطار هي رواية لا تختلف عن الروايات الأخرى في طريقة تناول المحنة الوطنية في صفحات أوراقها، فالشمعة والدهاليز رواية جسدت عدة مشاهد من تسعة فصول غلب عليها مشهد العنف المنفى واللأمن والإرهاب، فالكاتب في تلك الفترة بحث عن أسباب المحنة إلا أن ذلك لا يكفي للوقوف عند الأسباب الحقيقية لهذه المحنة .

أما رواية حراس النوايا في "سيدة المقام" لواسيني الأعرج التي طبعت سنة 1997 في أوج الأزمة الوطنية، انتقل من الأخبار إلى الأفعال عكس الروايات الأخرى .

فالإرهاب في سيدة المقام ليس حدثا عابرا ولا مجرد خبر يقرأ أو يسمع بل يمثل أحد مكونات الرواية، فالظاهرة هنا تأخذ حجمها الطبيعي لأن الكاتب أعطاهما بعدها التاريخي والإيديولوجي والسياسي، من غير أن يفرط فيما تقتضيه الكتابة الأدبية من خصوصية فنية.

فقد ركزنا على ثلاث روايات مكتوبة باللغة العربية وهي عقبات في طريق تميمون لرشيد بوجدر، والشمعة والدهاليز للظاهر وطار، وسيدة المقام لواسيني الأعرج، باعتبار هذه الروايات الأكثر مباشرة في تناول قضية المحنة أو الأزمة بكل أبعادها في ثنايا الصفحات،



لأن محنة الجزائر السؤال المركزي الحكائي، وكتبت على إيقاع فضائها ومناخاتها وإرهابها، سواء داخل الوطن، المنفى أو خارجه في منافي الغربة.¹

وقد حاولت بقية الروايات الأخرى خاصة روايات الأزمة التعبير عن العنف الممارس في الواقع، والتعبير عن محنة المثقف والمفكر والإنسان البسيط، يصور فجائية مريعة من مقتل الرئيس محمد بوضياف، في روايات أخرى كفوضى الحواس لأحلام مستغانمي أو ذلك الحنين للحبيب السائح، أو دم الغزال لمرزاق بقطاش، إلى العيش تحت التهديد واللجوء إلى الحياة السرية كما في رواية فتاوى زمن الموت لإبراهيم سعدي، أو ذاكرة الماء لواسيني الأعرج وبين فكي وطن لزهرة ديك... إلى شهادات الفتيات المختطفات من طرف الجماعات الإسلامية المسلحة كما في رواية الحب في المناطق المحرمة لجيلالي خلاص، أو تاء الخجل لفضيلة فاروق... إلى رواية الورم لمحمد ساري، إلى متاهة الدم والمذابح في القرى والجبال والمدن، ورواية متاهات ليل الفتنة لحميدة العياشي، إلى اغتيال المدينة وكل شيء جميل في هذه البلاد كما في رواية سيدة المقام وحارسة الظلال لواسيني الأعرج.

لقد نشرت هذه الإبداعات كلها من طرف دور نشر خاصة لأن المؤسسات التابعة للدولة لا تمنحها قدرا من الاستقلالية التي تحمل في مضمونها عديد القضايا الفكرية والإيديولوجية. ومن خلال النماذج المقدمة نستطيع القول أن رواية التسعينيات الجزائرية ما هي إلا رواية تاريخية أزموية بامتياز، فقد مثلت رواية فنية صادقة وعميقة التي اصطلح عليها إعلاميا العشرية السوداء، وبالتالي مهما اختلفت أساليب التعبير عن كيفية تلقي الصدمة واستشعارها فإنها تجتمع حول محور الأزمة وتتوقف منه فنيا كونه يستجيب كتابات الروائيون ببنية متجانسة تبعا لهول الأزمة، التي كتبت على صدر الأمة لسنوات .

1. بن جمعة بوشوشة: سردية التجريب وحداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية، ص 12.

فالرواية في فترة التسعينيات اتخذت من العنف موضوعا لها وأضافت عليه أبعاد جديدة ونعتت أعماله الأكثر بشاعة ووحشية، وفي هذه الحال لا يمكن للمتلقي سوى أن يقف منه موقفا مناهضا.

ونحن لا نبالغ إذا قلنا أن الرواية الجزائرية خلال التسعينيات استطاعت بالرغم من العوائق التي كانت تعترضها من أن تحقق قفزة نوعية في تاريخها .



الفصل الثاني

المحنة من خلال رواية مملكة الفراشة

أولاً: تمهيد: الإرهاب في الرواية الجزائرية

ثانياً: مظاهر المحنة في رواية مملكة

الفراشة

1_ الأيديولوجيا

2_ التيمات

2_1_ الإرهاب

2_2_ الموت

2_3_ قتل المثقف

3- النزوع الدرامي

_ البناء الدرامي

أولاً: تمهيد: الإرهاب في الرواية الجزائرية

العشرية السوداء، أو عشرية الدم أو عشرية المحنة، أو عشرية العنف والإرهاب يعد من أصعب وأحلك الفترات التي مرت بها الجزائر في تاريخها المعاصر، نظراً للخسائر التي تكبدتها في هذه الفترة العصبية، لذا سميت بالعشرية السوداء أو الحمراء، وهناك من يطلق عليها الحرب الأهلية، وقد جاءت هذه الفترة بعد أن حاولت الجزائر الخروج من نظام الأحادية إلى التعددية، لأن الجزائر إلى غاية 1988 كان يحكمها الحزب الواحد، وهو حزب جبهة التحرير الوطني الذي تحكم في السلطة، وأحكم قبضته عليها منذ أن نالت الجزائر استقلالها.

ومع الإصلاحات السياسية التي قامت بها الجزائر سمح بوجود الأحزاب السياسية وممارسة العمل السياسي، فنظمت في بداية التسعينات أول انتخابات تشريعية تعددية وفاز بها الحزب المنحل، والذي يعرف بالجبهة الإسلامية للإنقاذ، لكن الانتخابات أُلغيت من طرف المؤسسة العسكرية وبعض الأحزاب والتنظيمات الموالية لها، فما كان من الحزب المنحل إلا أن يرد على ذلك بتكوين جيش، وإعلان الحرب على الدولة بجميع سلطاتها، لأن قادته اعتبروها خارجة عن القانون والدين، ووجب قتالها، وأباحوا دماء كل من يحمل الزي العسكري، أو الأمني أو يكون إطاراً من إطارات الدولة.

ومن هنا بدأت المواجهات الدامية والتصفيات الجسدية، والمجازر والمداهمات، والكل يحمل المسؤولية للآخر، وكل جهة تستغل وسيلة لإبلاغ الشعب بأنه هو المسؤول على ما يجري، وأنه بريء مما نسب إليه، ودخلت البلاد في دوامة العنف والإرهاب، وبسبب هاته الفتنة التي ساد فيها منطلق الغاب، عانى الشعب الجزائري الويلات من تشريد وطمع وتقتيل وسفك للدماء، ناهيك عن الخوف واللامن وحالة عدم الاستقرار فأصبح الجزائري لا يثق حتى بأبيه وأخيه.



وفي هذا السياق تذكر بعض الإحصائيات أن عدد القتلى بلغ حوالي 200 ألف قتيل، إضافة إلى آلاف المفقودين إلى يومنا، أما الخسائر المادية فتعد بمليارات الدولارات لما لحق المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية من تدمير وتخريب وحرق وسطو، كما استنزفت كل الطاقات البشرية في البلد، لكونها كانت مستهدفة، فهاجرت كل الأدمغة والإطارات السامية خاصة نحو أوروبا، ضف إلى ذلك تقهقر سمعة الجزائر على الصعيد الدولي، ومعها سمعة الجزائري المطارد في كل مكان بتهمة الإرهابي، والممنوع من الدخول لأي دولة خاصة الدول الغربية، وفي ظل هذه الظروف اتجهت كل جهود الدولة عبر سنوات الأزمة، ويكل مواردها المالية العائدة أساسا من الثروة النفطية إلى محاربة الإرهاب .

في ظل هذه الظروف حاول كتاب الرواية الجزائرية مواكبة الواقع والغوص في أعماق الظاهرة، وتحليلها ووصف تداعياتها وانعكاساتها كل حسب منظوره الخاص.

لذا " ... شهدت الساحة الأدبية الجزائرية عددا من النصوص الإبداعية، التي كان موضوعها الأزمة نظرا لطبيعتها التي مكنتها من احتواء تلك التجربة الإنسانية، لقد استطاع النص الروائي الإشارة إلى عنف السلطة وتعرية ممارساتها القهرية، وتأمل الروائي السلطة في هذه الفترة وفي الفترات السابقة منذ الاستقلال، فوجدها رمزا للعنف وتشجيعا له ".¹

وفي بعض الأحيان لم يتم ذلك بسهولة، وكان غير ممكنا عند الكثيرين منهم بسبب طبيعة الأزمة في حد ذاتها، وصعوبة البحث عن جذورها، وكذلك الحياد الذي التزمه معظم الكتاب اتجاه طرفي المأساة، وهو ما جعل الروائي والمتقف بصفة عامة مستهدفا، أولا من طرف سلطة استئنصالية لا تؤمن بحرية التعبير، وإبداء الرأي حتى ولو بالمساعدة في حل الأزمة، وكذلك هو مستهدف من طرف إرهاب أعمى وهمجي، يكفر بكل من يختلف معه في الرأي، وينتهك حرمة دمه، وهكذا دخلت البلاد في دوامة العنف والعنف المضاد. لذلك نجد

¹ - الشريف حبيبة: الرواية والعنف - دراسة سوسيونصية في الرواية الجزائرية المعاصرة - عالم الكتب الحديثة للنشر



معظم الأعمال التي وجدت في هذه الفترة حافلة بالعنف، خاصة السياسي الذي " يرتبط بالتبرير والتوظيف الإيديولوجي، فحيث يكون فعلا نضاليا نبيلًا يكون في الجهة الأخرى فعلا إجراميا سلبيا وأيا كان فالعنف هو سلوك أو فعل يتسم بالعدوانية يصدر عن طرف قد يكون فردا أو جماعة أو طبقة أو دولة بهدف استغلال وإخضاع طرف آخر في إطار علاقة غير متكافئة للقوة اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا، مما يتسبب في إحداث أضرار مادية أو معنوية أو نفسية ... ".¹

وهو ما ورد في الرواية الجزائرية المعاصرة، متمثلا في عنف طرفين: عنف السلطة وعنф الجماعات التي تعارض السلطة، من ذلك ما جاء في رواية سيدة المقام لواسيني الأعرج، إذ تركز على عنف الجماعات المتطرفة، حيث يتخذ التطرف صفة التيار الواحد يتدفق من بداية الرواية حتى نهايتها ويغدو موضوعها الأساس، إذ تشترك هذه الجماعات في هدم المجتمع وبناء مجتمعا، فهي تستمد مرجعيتها من النقل لاغية العقل ومدعية امتلاك الحقيقة المطلقة.

تدور أحداث الرواية حول واقع مأساوي شديد المرارة، تجسد في انكسار النفوس واندحار البلاد من خلال فتاة جزائرية تدعى "مريم" أو "سيدة المقام" صديقة الراوي، التي تواجه همجية المجتمع الشرسة ونظرته لها باستخفاف كراقصة باليه، الأولى في إصدارها على إكمال حفلتها الموسيقية بأداء عرض مسرحية "شهرزاد" في ظل الربيع الأمازيغي بإشراف معلمتها الروسية "أناطوليا"، والتي طردت إلى الجزائر بعد مضيتها وسط معارضة حراس النوايا من شباب الحركات الأصولية السنية، التي انتشرت دعواتهم في كل الأحياء.

هذا الإصرار يؤدي بها في نهاية المطاف، وبعد إتمام العرض إلى الإصابة بنزيف دماغي بسبب حادثة تعرضت لها قبل سنوات، حينما أصابت رأسها رصاصة طائشة

سهيل العروسي: العنف - مقدمات ونتائج مجلة الفكر السياسي، العددان 13-14، اتحاد الكتاب العرب، دمشق،¹



استقرت بها، نتيجة المواجهات التي جرت بين رجال الأمن وإحدى الجماعات المتطرفة القريبة من سكنها بالحي الشعبي بباب الواد في 03 أكتوبر 1988، بينما كانت تنقذ طفلا مشرفا على الهلاك ونصحها الأطباء بعد ذلك بأن لا تبذل مجهودا بدنيا أو ذهنيا.

والثاني مواصلة تحديها لحراس النوايا الذين طوقوا أجواء المدن الجزائرية، وحبسوا بحرها، وغيبوا سماءها بسحب سوداء، عملا بما جاءت به تعاليمهم المتشددة في الدين، ووسط هذه الخواطر المتواترة لا ينسى الكاتب أن يترك مساحات كبيرة بالبوح المباشر بين بطلي الرواية، المدرس الجامعي أستاذ الفن الكلاسيكي، وراقصة الباليه سيدة المقام لترسم فرحة وبسمة بعيدا على حراس النوايا وسحبهم الداكنة.

وتأتي نهاية الرواية بضياح البطل في شوارع الجزائر بعد خروجه من المستشفى حيث لفظت مريم أنفاسها الأخيرة، بعد أن مزق كل وثائقه الشخصية، ليقوده ضياعه إلى جسر "تليملي" ليضع حدا لحياته.

هذه الأجواء التي رسمتها الرواية تعكس حقيقة الصراع الدائر بين السلطة والإسلاميين والذي طبع الحياة الاجتماعية بشكل سلبي تجلى في حملات القتل والذبح، سلسلة الاغتيالات ناهيك عن حملات الاختطاف اليومي، فأصبح الناس يعيشون حالة من الرعب والخوف، أمام قمع السلطة وإرهاب الجماعات المسلحة، التي اخترقت مقولات خطابها الديني البنية الفكرية للمجتمع الجزائري، "والجميل في الرواية أن الظاهرة الإرهابية لا تحضر في شكل خطاب ديني سياسي فج بل تحضر بوصفها جزءا من حركية المجتمع تعيقه وتشده من الخلف".¹

هذه الإعاقة تأتي من خلال تأسيس هذا الخطاب على مقولات لاغية للعقل بداية من المظهر "... ينتشر في المدينة مثل رياح الجنوب الساخنة... القبة الأفغانية ونعال بومنتل

الفصل الثاني _____ المحنة من خلال رواية مملكة الفراشة

والقشابية والمعطف الأمريكي من فوق، ونفي العصر والحضارة من ذاكرة الناس. نتشمهممن بعيد فنغير المعابر والطرق، رائحة عطورهم القاسية والعنيفة تسبقهم، عطر يشبه في قوته العطر الذي يسكب على جثث الأموات".¹

هذا الوصف للمظهر الخارجي يساعد على ملامسة الوعي الذي يخفيه عند هؤلاء، كونه هو المنتج إلى الأفعال والسلوكيات، التي تقيم علائق وثيقة مع ماضٍ سحيق، لكي تسوغ منه قوانينها المقدسة، ومنطقها الخاص الذي لا يقبل الشك، أو الاعتراض مما يحجب عنها متغيرات العصر وروحه، ويجعلها حبيسة الماضي نافية للمستقبل، وهكذا غيرت المدينة "طقوسها وعاداتها منذ أن بدأ حراس النوايا يزيحون سلطة بني كلبون، ويستعيدون أمجاد الورق الأصفر، والحرف المقدس والسيوف المعقوفة".²

وكل هذه المظاهر تلخص العنف الديني، الذي تولد بحجة فساد السلطة فكانت العودة إلى المنظومة الدينية الأصولية، التي توهم دعائها إمكانية استعادة الفردوس الإسلامي المفقود، وما ينتج عنه من انقضاء للأزمات، ليرد على فساد وقمع بقمع أشد منه وقعا وإيلاما، وكانت النتيجة طوفانا من التعصب الأعمى.

الذي أعلن الحرب ليس على السلطة فحسب بل على كل مظاهر الثقافة والفكر بحجة قتل كل الملحدين والخارجين على شريعة حراس النوايا "تقول مريم، تقتلون من؟ قالت أعداء الله قالت من أعداء الله: الشيوعيون حزب فرنسا، البربر، الملحدون، العقلايون، اللانكيون، أصحاب دعوات تحرير المرأة، نساء الجمعيات النسوية، جمعيات العهر والفسق وحكام الرعية ومسؤولو أجهزة الإعلام المقروءة والمسموعة... وكل من يحذو حذوهم".³

1- واسيني الأعرج: سيدة المقام، دار الفضاء الحر، 2001، ص 11 .

2- نفسه، ص 06.

3- واسيني الأعرج سيدة المقام، ص 95 .



الفصل الثاني _____ المحنة من خلال رواية مملكة الفراشة

وفي ذات السياق يعبر "الحبيب السائح" في رواية "تماسيخت" عن ذات الفكر بوصفه متوحشا، فتغرق الرواية في بحر من الدم، وتغوص وسط الخراب والدمار، والذبح والتقتيل لتكون بذلك وثيقة تاريخية وسجلا ليوميات جزائر المحنة.

يتجسد ذلك في المشاهد المرعبة، والكيفية الشنيعة التي قتل بها عمر وإسماعيل وجميلة، وغيره من الجزائريين ممن قضوا في المذابح، والمجازر الجماعية ويأتي ذكر هذه الأعمال الإجرامية عند الراوي منها ما هو معاش، والبعض الآخر مأخوذ من الأخبار، من المحطات التلفزيونية والإذاعية ومن الصحف "يطعن صوت المذيع مثقف تلج يعلن أن مصالح الأمن أعلنت أنه تم اليوم اغتيال عميد جامعة العلوم والتكنولوجيا بباب الزوار من طرف مسلحين، حين كان يخرج من بيت".¹

كذلك "تذكر الجريدة التي اشتراها من كشك المحطة فنسيها، حيث تناول القهوة من هول ما حمل صدرها بالبند الغليظ، يضغط الصورة المؤطرة لرأس فتاة مشلوجة الرقبة، لا شيء يردع مجانين ربهم، وفي الفرع أختان تذبحان سهام ستة عشر سنة ونصيرة عشرون سنة لأنهما أبتا زواج المتعة ولا شيء عن أبويهما المختطفين ليلة الجمعة، هجوم قوات الأمن متواصل، أمير المنطقة وخمسة عشر آخرون يتم القضاء عليهم، شرب قهوتين أو أكثر، أو لم يشرب أصلا وهو يقرأ الحوار مع السيدة التي ذبحوا زوجها في عيادته مختلجا، بل مرتعشا وفي وقوفه سريان من الروع يطال مفاصله"²، بالإضافة إلى وصف تفجير شارع عميروش "أتبدد في شارع عميروش موعدا لزلزال قيامه مركزه غياهب التتوريين الجدد، ينشطر جحيما نضح له جلد حقدهم فبدله أفكهم جلدا غيره لنهاية اللعنة.

أطفالا ونساء ورجالا وعجزة وفتيان وصبيان، خرجوا ليومهم العادي بسطاء غرباء عشاق حالمون مكدون ساروا أو ركبوا الحافلة العمومية، ضحك ذا لذلك وتلك التي تبسمت، أو عانقت أو رغبت في قبلة مخطوفة لميعاد، وسوى ذلك محفظته على ظهره يحلم بحليب

¹ الحبيب السائح: تماسيخت، دم النسيان، دار القصة للنشر والتوزيع حيدرة، الجزائر، 2002، ص 92.

² نفسه، ص 23-24.



الفصل الثاني _____ المحنة من خلال رواية مملكة الفراشة

ساخن وحلوى، وتلك بشطائر من حرير تزهو بها على قريناتها غدا على ساحة المدرسة، جميعا لا يرون الوحش الذي يغرز مخالب حقه في كبد عميروش شارعا يملأه زخم حياتهم، انفجرت السيارة فتجمع الأشلاء إربا إربامفصحا للموت يرفل في الدم، وبترصع نثرات على الوجاهات المعصوفة بالشظايا وكان الوحش يرقب فرائسه الممزقة".¹

إن هذا المشهد الدرامي نابض بالحركة، وكأنه مشهد مصور سينمائيا، على الرغم من بدايته الساخرة ممن وصفهم بالتتوريين الجدد، إلا أنه تصوير حي للحظة من لحظات الهول أو الكارثة، التي استهدفت كل جزائري سواء في بيته، أو في مكان عمله، أو في الطريق العام، أو في أي مكان آخر، هذه اللحظة هي لحظة الانفجار أو الزلزال، التي رسمت شعريتها مناظر الأشلاء، ونثرات الأجسام على الجدران تزين الوجاهات، وتفتح طريقا للموت يرفل وسط برك الدم.

إن صورة الوحش بشعة جدا، وقبيحة تظهره ممثلا لكل أنواع الشرور من خلال أعماله الإجرامية، وتكيله بضحاياه، كما أنها تعكس جنبه وعدم قدرته على مواجهة من يترصد بهم لأن من شيمه الخديعة والمكر والغدر، لذلك تراه متخفيا وراء براءة وطيبة، وبساطة الضحايا "لو كان من يطالهم حقد الوحش اختاروا خندقهم من قبل مكان ليرهبني فصل رأس بفأس أو خز رقبة بمنشار".²

ولا تختلف طبيعة الأعمال الإجرامية للإرهاب في معظم النصوص التي رصدت تفاصيل سنوات المحنة.

فبنفس الوصف تعبر رواية "عتبات المتاهة" عن ذلك في الرسالة التي أرسلها الراوي إلى راشيل بعد وفاة أمها ماريا "... ولم تمهلنا الإغماءة الأخيرة لها كي نتمكن من إحضار

¹ - الحبيب السايح: تماسيخت، دم النسيان ، ص 168.

² - نفسه، ص 20.



الفصل الثاني _____ المحنة من خلال رواية مملكة الفراشة
الطبيب لها، أو نقلها إلى المستشفى، فلا أحد يمكنه المغامرة، واختراق حالة حظر التجول
المفروضة على البهجة منذ مدة.

اقترحنا عليها في الأيام التي قبلها أن نقلها إلى المستشفى غير أنها رفضت الفكرة، وألحت
علينا في عدم إبلاغك، خوفا عليك من مناخات الرعب والحقد التي تخيم على البهجة... فقد
بدأ الدم يرقش بالحمرة بياض المدينة البيضاء، سيارة مفخخة تنفجر هنا، فتطاير الأشلاء
فتتفحم الأجساد ومجزرة هناك تشيب لهول رؤيتها الولدان... دم في كل مكان، وجناز لا
تنتهي، حداد وسواد على مد البصر..."¹

غير أن أحمد عبد الكريم في عتبات المتاهة يشير إلى إرهاب السلطة، والمتمثل في...
تلك الأعمال الإرهابية التي تقودها الدولة من خلال الأعمال والسياسات الحكومية التي
تستهدف نشر الرعب بين المواطنين، لإخضاعهم داخليا أو في الخارج بهدف تحقيق
الأهداف التي لا تستطيع الدولة ولا تتمكن من تحقيقها بالوسائل المشروعة"².

وقد تجلى ذلك بفرضها حالة الحصار، ومنع التجول، وتطبيق القوانين الاستثنائية،
والأحكام العرفية التي تمنحها مزيدا من الإصلاحات، لفرض النظام بالقوة، في محاولة
لإخضاع المواطنين وسلبهم الكثير من حقوقهم، والحد من تحركاتهم، وبالتالي المساس
بحريتهم، وكل من يخالف ذلك - حتى ولو كان للضرورة - فهو معرض للقتل باعتباره
إرهابيا.

وفي ظل هذه الممارسات الاستثنائية، والسياسات القمعية عانى الشعب الجزائري
الولايات، إذ تتسبب العديد من الأعمال الإجرامية، والمجازر الشنيعة للسلطة، ومعها حملات
الاعتقالات والمداهمات، فسقط الكثير من الأبرياء دون ذنب يذكر.

¹ - أحمد عبد الكريم: عتبات المتاهة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2007، ص 103-104.

² - عبد الناصر حرير: الإرهاب السياسي - دراسة تحليلية - مكتبة مدبولي، ط 1، مصر، 1996، ص 101.



الفصل الثاني _____ المحنة من خلال رواية مملكة الفراشة

وكان ذلك في أغلب الأحيان لمجرد الاشتباه في الصفة، أو في العلاقة بالجماعات المسلحة، وهو ما تذكره عنه أحلام مستغانمي في فوضى الحواس في الحوار الذي يجمع البطلة مع أخيها ناصر في المقبرة " - ذات يوم .. لن تجدي صعوبة في العثور علي . سيكون لي أخيرا عنوانا ثابتا هنا . أصرخ :
ما هذا الذي تقوله.. أجننت؟.

يقاطعني

الموت أقرب مما تتوقعين. أتريدين أن أدلك على قبر لصديق، قتل منذ أيام دون مبرر، سوى لأنهم اشتبهوا في أمره، وهو يضع يده في جيبه ويوشك أن يخرج منها شيئا، على مقربة من شرطي، عندما قتلوه اكتشفوا أنه لم يكن يحمل في جيبه شيئا، تصوري الآن بإمكانك أن تموتي لا بسبب جريمة ارتكبتها، وإنما لأن هناك افتراضا أن تكوني مجرمة. حسب المكان، أو الزمان، أو الهيئة التي يصادف أن تكوني عليها وقتها، أي أننا جميعا متهمون مفترضون. يكفي أن تتوافر فينا إحدى المصادفات.. وتتطابق مع (أعراض إرهابية)¹.

هذه هي حالة الخوف والهلع التي عاشها الإنسان الجزائري إبان عقد المحنة نتيجة "الأوضاع الاجتماعية والسياسية التي يسود فيها العنف والقهر والحرمان، التطرف كغيره من الظواهر الاجتماعية والثقافية لا يكون من لا شيء، بل هو في الأغلب الأعم عبارة عن رد فعل ضد تطرف آخر يجري في جسم المجتمع، إما في شكل ظلم اجتماعي، أو في صورة ضيق اقتصادي أو قمع ثقافي، أو طغيان سياسي إيديولوجي "².

وأيا كانت أشكال العنف، فالجزائري قد كابد جل هذه الصور من ظلم اجتماعي وضيق اقتصادي، وقمع ثقافي، زيادة على الطغيان السياسي، الذي يعتبر السبب الرئيس للأزمة.

- أحلام مستغانمي: فوضى الحواس، دار الآداب للنشر والتوزيع، ط 16، بيروت، لبنان، 2007، ص 208- 209.¹

- محمد سالم ومحمد الأمين طلبة: مستويات اللغة في السرد العربي المعاصر- دراسة نظرية تطبيقية -سيمانطيقيا السرد- الانتشار العربي، ط 1، 2008، ص298.



الفصل الثاني _____ المحنة من خلال رواية مملكة الفراشة

وعلى نفس الشاكلة حاول رشيد بوجدرة في رواية تيميمون أن يرصد الظاهرة رغم هروب الكاتب إلى عمق الصحراء الشاسعة الصحراء، إلا أنه لم يستطع البقاء في معزل عما كان يحدث في الشمال، من اغتيالات، وتدمير وتخريب، فحاول الكاتب ربط الشمال بالجنوب من خلال الأخبار التي كان يسمعها البطل، أو يطالعها في الصحف، غير أن معظم هذه الاغتيالات التي تذكرها الرواية كانت نوعية تتجه نحو نخبة المثقفين، من أساتذة وأطباء وصحافيين، بالإضافة إلى قتل الأجانب.

فتأتي الأخبار مثل الومضات في الرواية " الأستاذ ابن سعيد يغتال هذا الصباح في بيته، على الساعة الثامنة والنصف بمشهد من ابنته البكر...¹ وهو مشهد مروع يصور فظاعة الإرهاب وهمجيته، كما في حادثة تفجير مطار هواري بومدين " تسبب انفجار قنبلة وضعها أصوليون في مطار الجزائر العاصمة في مجزرة خلفت تسعة قتلى، وأكثر من مائة جريح جلهم في حالة خطيرة " ²، وعن ذات الوحشية " الكاتب الكبير الطاهر جعوط يغتال برصاصتين في رأسه من طرف ثلاثة إرهابيين، وهو يقود ابنتيه إلى المدرسة".³

وحتى وإن كانت الاغتيالات التي رصدتها "تيميمون" نوعية - كما أسلفنا - فهي بذلك تشير إلى إدانة بطريقة ما، إدانة اغتيال العقل، ومع ذلك يؤكد الكاتب على أن الإرهاب الأعمى طال الجميع، حتى المواطنين البسطاء، كما حدث مع شغالة "شغالة منزلية في السادسة والأربعين من عمرها أم لتسعة أطفال تغتال رميا بالرصاص، وهي عائدة إلى بيتها..."⁴

إن رواية "تيميمون" من الناحية الفنية ذات طابع سيرري، يقف عند أهم المراحل في حياة البطل، من الطفولة إلى المراهقة إلى الكهولة، لترسم شخصية متميزة، غريبة الأطوار تحاول

¹ رشيد بوجدرة: تيميمون، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، ط 1، 1994، ص 95.

² نفسه، ص 64.

³ نفسه، ص 74.

⁴ رشيد بوجدرة: تيميمون، ص 70.



الفصل الثاني _____ المحنة من خلال رواية مملكة الفراشة
الهروب من الواقع منذ البداية، سواء كان الهروب جغرافيا بالتوجه نحو الصحراء، أو الهروب
بفقدان الوعي (السكر المستمر) إلا أن الكاتب يحاول في كل مرة وخز ضمير البطل لربطه
بالواقع والإبقاء على تيار الوعي مستمرا.

وهناك من نظر إلى العشرية السوداء على أنها حرب أهلية على الرغم من المبالغة في
هذا الاعتبار، كما هو الشأن عند إبراهيم سعدي في رواية "بحثا عنآمال الغبريني" حين
يعرض الحوار الذي جرى بين موح شريف والغريب في قاعة الاستقبال في نزل الجنوب
"... اقترب الغريب برأسه من موح شريف :

- أريد أن أسألك عن أمل، أمل الغبريني، الأخ المحترم .
- أمل الغبريني، ردد موح شريف، كمن يحاول أن يتذكر شخصا ما، فيما صورة الشابة راحت
تشع في ذهنه كالنور الخاطف، شابة حسبها، يوم رآها أول مرة في الفندق أنها من ألمانيا أو
الدانمارك .
- نعم . أمل الغبريني .
- أمل الغبريني ، كرر موح شريف ثانية ، مفكرا أن يجيب بالنفي .

منذ أن دخلت البلاد في حرب أهلية، صار يأخذ حذره رغم أن لا شيء تقريبا حدث في
هذه المدينة. لكن من الأحسن أن يحتاط الإنسان من يدري ماذا يريد هذا الرجل؟ صحيح لا
يحمل وجه قاتل. لكن من يدري؟ كل شيء ممكن في هذا البلد. بالنفي قرر أن يجيبه.¹

هذا الوصف الذي تذكره الرواية عن حالة الهلع والهستيريا التي عاشها الإنسان الجزائري
حتى في الجنوب، وهو الذي بقي بعيدا عن تعقيدات الأزمة - اللهم بعض الأحداث المعزولة
- جعل الكاتب لا يتوانى في تسمية ما يحدث بالحرب الأهلية، وهو ما كانت ترفضه السلطة

¹ إبراهيم سعدي: بحثا عن آمال الغبريني، اتحاد الكتاب الجزائريين، طبع على نفقة الصندوق الوطني لترقية الآداب
وتطويرها التابع لوزارة الاتصال والثقافة، الجزائر، 2004، ص 24-25



الفصل الثاني _____ المحنة من خلال رواية مملكة الفراشة

جملة وتفصيلا، وتتعامل معه بشدة، لكونه تسمية خرجت من دوائر سياسية استعمارية وأجنبية معادية للجزائر، كانت معظمها تدعم الإرهاب .

هذه النصوص الروائية التي عالجت المأساة، تعد بمثابة الوثائق المرجعية التي تؤرخ لها، وفي ذات الوقت تطرحها مضامينا للنقاش، من خلال التصور، والخلفية الفكرية والإيديولوجية التي تعبر عن الرؤية التي يقدمها كل روائي في نصه.

ثانيا: مظاهر المحنة من خلال رواية مملكة الفراشة

بما أن الرواية هي أكثر الأنواع الأدبية اتصالا بالواقع والأكثر قابلية للتعبير عن المجتمع، وإذا كان تعقد الظاهرة الروائية دون اعتبار هذه الأخيرة مجرد انعكاس للواقع، فإن كثيرا من خصائصها وثيقة الارتباط بهذا الواقع الذي يتميز بدوره بالتعقيد والثراء.

لقد تأثر المشهد الروائي في الجزائر منذ مطلع التسعينيات بالأحداث السياسية والاقتصادية والثقافية التي وسمت هذه الفترة مشكلة منعرجا حاسما في تاريخ الجزائر المعاصر، فقد وقعت الجزائر في مواجهة دموية هي الأولى من نوعها تشابكت فيها خيوط الأزمة إلى حد الحرب الأهلية- غير المعلنة- والتي هددت بنسف أركان الدولة وأسس المجتمع.

كانت الأزمات تتوالى ولم يكن الروائي يبعيد عنها فقد شكلت مادته الخام التي انطلق منها ليعبر عن واقعه المأزوم، فانعكس هذا الواقع على تجربته الفنية الروائية التي واكبت المرحلة وحاولت الاقتراب من الواقع وتفسير الأزمة واندلاع العنف في الجزائر .

وفي هذا الفصل ركزت الاهتمام على الخصائص العامة للنص السردي "مملكة الفراشة" وعلاقتها بالتجربة النوعية للمجتمع الجزائري، وتناوله على مستوى الإيديولوجية والقيمات والنزوع الدرامي.



1- الإيديولوجيا

الإيديولوجية هي البحث الدائم والمستمر عن القيم.¹

فهي نسق له منطق المتميز، ودفئه الخاص من التمثلات، سواء أكانت صورا أم أساطير أم أفكار أم مفاهيم، فهي تحظى بوجود تاريخي، وتؤدي دورا تاريخيا في الوقت نفسه، وذلك في إطار معطى فالطابع النسقي يجعلها تمثل الوقائع الاجتماعية تمثلا خاصا.²

فالوظيفة الأولى التي تلحق بالإيديولوجيا هي صنع صور معكوسة عن الواقع، لخدمة هدف معين لدى مستعملها.

مادام هناك وجود تاريخي للمجتمع فمن الخطأ الاعتقاد بزوال سلطة الإيديولوجيا وحضورها في التفكير البشري، لذا تكتسي في الغالب طابعا لا شعوريا، يجعلها معقدة وعصية عن الفهم، ومن هنا ينبغي على الباحث أن يراعي المحتوى التركيبي غير البسيط للإيديولوجية على نسقها.

ومن الشائع اليوم القول بأن الرواية الجزائرية، ولا سيما أثناء فترة الحزب الواحد، كانت تتسم بهيمنة العامل الإيديولوجي، أي أن إستراتيجية الروائي الجزائري، لم تكن تتوقف عند حدود تقديم مادة جمالية تعتمد على السرد، بل كان يسعى في آن واحد إلى جعل القارئ يشاطره همومه السياسية والعقائدية، التي كان يعتقد أنها الطريق لتصحيح وتغيير المجتمع وتقدمه، وحل تناقضاته "فالروائي يجب أن يكون داعيا بمثل عليا للمجتمع الذي يعيش فيه وذا تأثير في مجتمعه".³

1- رشيد بن مالك: قاموس التحليل السيميائي للنصوص، دار الحكمة، الجزائر، د ط، د ت، ص 89،

- أحمد يوسف، القراءة النسقية، سلطة البنية وهم المحاينة، ج 3، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2003، ص 50.

إبراهيم سعدي: الجزائر كنص سردي، ضمن أعمال الملتقى الرابع، عبد الحميد بن هدوقة، وزارة الثقافة والاتصال، 3-

ط 1، 2001، ص 158.



والملاحظ أن الروائيين الجزائريين في الفترة السابقة التي ليست بالبعيدة أمثال عبد الحميد بن هدوقة والطاهر وطار وغيرهم، ممن كانوا إيديولوجيا أبناء عصرهم، فقد كانوا يساريين متشبعين بدرجات متفاوتة لقيم الفكر الاشتراكي، فهذه المرحلة تتميز بطابع الصراع الإيديولوجي إنما هو شخصي خاص بالكاتب وطريقة توظيفه إياها في نص إبداعي لإيديولوجية ليست ملكا للكاتب، وهي تظهر عادة خارج نطاق الأدب، أي أنها تمارس وظيفة التأطير والتوجيه لمسار ودلالة المنتج السردي.

الفترة التي نعيشها حاليا أي التي تحيل عالميا إلى هيمنة الإيديولوجية الواحدة التي يقول فوكو ياما بأنها: "مرحلة موت الإيديولوجيات".¹

المقصود بها الإيديولوجية الاشتراكية، تميزت وطنيا بظهور التعددية الحزبية من ضمنها قوى سياسية تستمد إيديولوجيا من الدين المشروع في التحويل من اقتصاد الدولة إلى اقتصاد السوق.

وباستفحال الأزمة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والأمنية، من الطبيعي أن تحدث عن هذه التغيرات أثرا في وعي الكاتب، وفي عاطفته وإدراكه للواقع والعالم، وأن يتعامل معها على صعيد نصه السردي وفق خصوصياته.

على المستوى الإيديولوجي أدى ظهور تيارات تعتمد استراتيجياتها السياسية إلى توظيف الدين إلى بروز إيديولوجية مضادة يمكن نعتها بالحدائية، تقوم في أحد جوانبها الرئيسية على التوظيف السياسي للدين، الحدائية التي يمكن القول أنها حلت في الجزائر محل الإيديولوجية الاشتراكية، وهذا ما عبر عنه حميد لحميداني بقوله: "إن الإيديولوجية في الرواية إذن تكون

¹ - على حرب: أزمة الحدائة الفائقة - الإرهاب، الإصلاح، الشراكة - ص 178- 179.



عادة متصلة بصراع الأبطال، بينما تبقى الرواية كإيديولوجية تعبيراً عن تصورات الكاتب بواسطة الإيديولوجيات المتصارعة نفسها".¹

يمكن قراءتها في صورتها السردية خصوصاً في نص "مملكة الفراشة" التي تدين بشكل مباشر وقوي الظلم والقهر الاجتماعي والسياسي الذي عاشته الجزائر في الفترة التي أعقبت الحرب الأهلية التي تحولت إلى حرب صامتة وغير معلنة، والتي وصفها واسيني الأعرج: "الحرب الصامتة التي لا أحد يستطيع توصيفها لأنها من غير ضجيج ولا ملامح، وعمياء، كلما لامسناها غرقنا في بياض، هو بين العدم والكفن، فالحروب أياً كان نوعها ليست فقط هي ما يحرق حاضرننا، ولكنها أيضاً ما يستمر فينا من رماد حتى بعد خمود حرائق الموت في ظل ظلمة عربية تتسع بسرعة الدهشة والخوف".²

وهي تتناول رقعة الرعب والقتل العبثي الصمت على أجنحة الظلام الذي يصطاد المواطنين الأبرياء، الذي يحمل طمغة وبصمة الجماعات الدينية المتطرفة والإرهابية، التي أعلنت حرب عشواء ضد الشعب الجزائري بكل فئاته وأطيافه، بشهية الذئب المسعور، في حرب اغتيال ومصادرة حياة المواطن بصمت رهيب من الانتقام بكل أشكاله، بما في ذلك الانتقام الطائفي، وتدنيس الدين ببدعة الإرهاب والعنف، "الناس هنا يموتون بالعشرات كل يوم، في حرب لا اسم لها"³، وكل هذا في ظل تواطئ السلطة وأجهزتها العاملة.

فالكاتب يلجأ في روايته إلى صوت نابع من تجربة ذاتية، إذ يثير هذا النص الروائي قضية عايشها الكاتب في حياته بكل تفاصيلها وتأثيرها على الناس والمجتمع.

- حميد حميداني: النقد الروائي والإيديولوجيا، (من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي)، المركز الثقافي العربي، بيروت، د ط، 1990، ص 37.

²- واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، الفضاء الحر، منشورات البغدادي، ط 3، 2013، ص 06.

³- واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص 253.



فهذه الجرأة حريصة على نقل الواقع بكل ما فيه من دمامة وقبح، فالكتابة يجب أن تكون في مستوى ما يلاقيه الإنسان، من تعذيب ومصادرة للرأي، فهي في عصر لا يمكن الامتثال فيه لإيديولوجية جمالية مزيفة توصي بأن يكون العالم أكثر جمالا وبساطة.

2- التيمات

يعد النقد الموضوعاتي من المحاور التي عرفت توجهها جديدا في سياق تطوير آليات الدراسة النقدية في مجال البحث الأدبي، ولعل التطور الحاصل يكمن في الانتقال من مفهوم "الموضوع" والذي يقصد به تتبع (تيمة *thème*) يتحدث عنها الكاتب في إبداعاته بصورة واعية، إلى مستوى آخر يعني بترصد شبكة الهواجس التي تشغل الحيز الكبير والمركزي لدى كاتب من الكتاب، وهو من هذه الناحية يتجه بصورة لنقد مستويات الأفكار المكونة لمجموعة من العلاقات التي تسمح بهيكله كل ما يشمله النص الأدبي عبر تفرغاه وتشظياته الناتجة عن استدعائه لمختلف مستويات مظاهر الحياة الاجتماعية والنفسية والفكرية لدى كاتب ما.

أما فيما يخص الدراسة الموضوعاتية، فهي تتأسس من خلال صياغة جملة من المقولات تنوزع إلى محورين أساسيين هما:

أ- حالات الوعي: وتشمل موضوعات مثل: المعرفة، الإرادة، الانفعال، الإدراك، الذاكرة، الخيال، المكان.

ب- مضامين الوعي: وتتمثل في إمكانات الوعي بالعالم، والوعي الآخر الخارجي، "خارج الذات كأشياء، الكائنات..."¹

لقد نجح واسيني الأعرج باقتدار في التعامل مع التاريخ والواقع الحيتين في وطنه الجزائر، وما جرته على الوطن والمواطنين من دمار واحتكام ظالم إلى آلات التقتيل والمقتول

الفصل الثاني _____ المحنة من خلال رواية مملكة الفراشة

لأنهما من وطن واحد، وحين تغيب سنة التواصل في وطن فتلك علامة صريحة على افتقاد الجوهر الحقيقي للإنسان والعودة إلى منطق الغاب والأنياب.

تدور أحداث الرواية حول أسرة جزائرية من الطبقة المتوسطة وكيف نهشتها الحرب وتشنت أفرادها.

لأن الروائي دائما لا يكف عن اتخاذ الواقع موضوعا بكل حيثياته وتوجهاته فهو يرقى إلى حل قضايا المجتمع ومعالجة مشاكله، ومن أهم القضايا التي يمكن رصدها في رواية مملكة الفراشة مايلي:

2-1- الإرهاب

لقد عصفت الأزمة بالجزائر والمتمثلة بحدث الإرهاب الذي كان حدثا مميزا في تاريخ الجزائر بعد الاستقلال لم يشهده المجتمع من قبل لما أتى عليه من دمار وفساد أهلك الحرث والنسل بالنظر إلى تلك الجرائم الشنيعة والفظيعة والتي ارتكبت في مدة قصيرة، إن أثر الأزمة الأمنية ظهر جليا في وجوه الناس لأن وقعها في القلوب والعقول قد يعادل وقع الثورة التحريرية في التأثير والخراب والدمار.

من خلال دراستنا لرواية مملكة الفراشة التي كتبت في الوقت الحاضر، إلا أنها استرجعت محنة الجزائر الوطنية، من خلال تصويرها لمظاهر الإرهاب وما يخلفه من أوجاع ومآسي مريرة نكلت بالشعب الجزائري، وتركت ماض أسود في ذاكرة كل صغير وكبير، كما نجد الروائي رصد لنا في روايته "مملكة الفراشة" نوعين من الإرهاب: "إرهاب الجماعات المسلحة وإرهاب السلطة أو الدولة، التي تواطأت في الدفاع عن مواطنيها من قبل حكامها لتحقيق أهدافهم الخاصة، وتقضي على كل على كل من يعقب طريقها من خلال شخصية "بابا زوريا" أو "الزبير" خبير طبي في مخبر صيدال، الذي يضطر إلى مغادرتها بسبب كشفه للعب بالأدوية والمتاجرة بأعضاء المرضى، "أشم رائحة كريهة في اللعبة بكاملها. بابا هؤلاء خطيرون وعندما تهدد مصالحهم يقومون على الجريمة بلا تردد...



لا أعرف من المذنب من البريء، ليس مهما تدمير صيدال، أي المعوق الرسمي الذي يقف في طريقهم، أصبح أكثر من ضرورة، سيثوهون كل الإطارات حتى تتفكك المؤسسة بنفسها، وينقضون عليها قبل أن يصبحون هم سادة السوق الوطنية والاستيراد".¹

حيث تعرض عدة مرات للتهديد لينتهي الأمر بحرق مخبر صيدال

"هم لي عملوها، القتلة لا يوجد غيرهم..."

من هم يا بابا؟

لا حبيبتي لقد أصبحوا ذئابا واختلطوا مع الضباع مافيا الأدوية.

أعرف أشياء خطيرة ...، أشياء بأن هذا البلد يسير بخطى حثيثة نحو هلاك أكيد، مخبر السلام ليس إلا غطاء لإنتاج المخدرات الاصطناعية"²، فالزبير أراد الكشف حقيقة حرق مخبر صيدال والمتورطون بالقضية.

فهذه الدولة تعمل بعقلية الإطفائي "سيحرقون البلد بعقلية الإطفائي، الذي لا يتحرك، إلا عندما تشتعل النار، لا يعرفون استباق الأحداث، لم يتغيروا أبدا"، وهم يدفعون المواطن إلى تراجيدية الرعب و الموت يحاصره في كل زاوية من حياته، ويجعل من المواطن ضحية ضعيفة لا حول ولا قوة لها سوى الاستسلام والخضوع.

أما "بابا زوربا" كما تتاديه ابنته "ياما" كان ضحية لعدم الخضوع لمطالبهم بعد عدة تهديدات من طرف مجهولين من أجل الابتعاد عن طريقهم، إلا أنه لم يستمع لهم ولتحذيراتهم، مما أودى بحياته برصاصة في رأسه، " مات بابا زوربا عند العتبة الخارجية لبيتنا، في حرب لا يدري إن كانت عادلة أم لا، كان يرفض أن يسميها الحرب الأهلية، لأنه كان يجد في كلمة الأهلية شيئا من العطف والحنان كان يقول هذه حرب قذرة، مركبة ومميتة، وبآلاف الأفتعة حرب ضد الأهالي"³، "ظلت كلمات والدي الحزينة تطن رأسي: من أراد أن يقتلني فليأت، قاتلت عدوا خارجيا زمنا طويلا وكرحت الدم وعفن الأجساد المتفسخة

1- واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص 54.

2- نفسه، ص 54- 55.

3- نفسه، ص 51.



الفصل الثاني _____ المحنة من خلال رواية مملكة الفراشة

ظلمًا، أتساءل أحيانًا كيف قبل هذا الرجل أن يترك مخابر برميير الشهيرة في نيويورك وباريس وبون، ويعود إلى أرض قاتلة كان يهرب منها الناس، يغادرها بلا رجعة، كل من وجد فرصة للهرب".¹

لنتهي مافيا الأدوية حياة الزبير برصاصة أمام عتبة بيته وتطلب الشرطة من "ياما" بأن توقع على تعهد بأن والدها توفي بسكتة قلبية حتى لا تتحمل السلطات المحلية المسؤولية، وأن الأوضاع الأمنية بخير، لكنها رفضت أن تقتل والدها ثانية، ليعترك موت الزبير فراغًا رهيبًا في حياة كل من فريجه وياما وتكون العواقب وخيمة فيما بعد.

لتمتد أيادي القتل إلى رئيس الأطباء في الجراحة الدماغية الذي يشتغل مع شركة بريستول ميير (Bristol- Myers Squibb-BMS-) الأمريكية، "لا بد أن يكون هذا المسكين قد مات بنفس الطريقة التي مات بها بابا زوربا؟"²، حيث كان صديق الزبير تعرف عليه في نيويورك، قيل أنه قتل بالصدفة ولم يكن المقصود، وهناك من يقول أن الرصاصة انتقامية دون معرفة السبب لماذا؟، "إنها الحروب السرية التي يخلقها الكبار ويدفع البسطاء ثمنها الباهظ"³، فهذه الحرب أنت بالكثيرين لأنهم قالوا كلمة الحق ولم يسكتوا على الباطل.

فساد إطارات الدولة بدأ يلوح في الأفق والشعب يقع ضحية له، حتى مستشفى المجانين والسجن لم يسلموا من الفساد، حيث شب حريق فيهما بعد أن انكشفت الحقيقة عن طريق التلاعب بأرواح الناس والمتاجرة بأعضائهم، وكان راين أخو البطلة من بين هؤلاء المساجين، "حريق ضخم يأتي على السجن أو الثكنة القديمة ومستشفى أمراض العقلية الملتصقة به".⁴

فمات الكثير منهم واحترقت جثثهم من أولاد الفلاحين والبسطاء من عامة الشعب أما الذين هربوا من أبناء المسؤولين والحكام، حتى أنهم منعوا من فتح ثوابيت أبنائهم الموتى، ليكتشف أحدهم أنه وضع عظام حيوان وسط تابوت ابنه الميت، فقاموا بإسكاته بتهمة نبش

¹ - واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص 79.

² - نفسه، ص 51.

³ - نفسه، ص 312.

⁴ - واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص 258.



الفصل الثاني _____ المحنة من خلال رواية مملكة الفراشة

القبور، "عليك أن تسحب الدعوة القضائية التي رفعتها ضد أسلاك الدولة، وتفضح وبشكل معن الذين ورتوك ودفعوا بك نحو المهالك التي لا أحد يتحكم في عواقبها، ومناطقة دولة سخرت لك نفسها لكل ما فيها خير البلاد، عليك أيضا تصمت نهائيا ولا تتهم الناس زورا". أما المسؤولين أكدوا أنها إشاعة وليست حقيقية يراد بها تشويه البلد، "أكد لنا مسؤول القطاع أن المسألة ليست حقيقية وهي مجرد كذبة يراد منها تشويه صورة البلد الذي بدأ يرفع رهانات البناء بعد الحرب".¹

فالكثير ممن بقوا على قيد الحياة أخذت منهم أعضاؤهم، "جاءت امرأة بابنها الذي مات بتفسخ جرحه...، أمام السجن وهي تظهر ابنها الميت الذي أخذت منه أجزاء حيوية من جسمه..."، فقد أكدت التقارير الطبية والخاصة والمستقلة أن الشاب الهارب من النار قد أخذت منه كليته وطحاله وجزء من كبده، أما الأم فقد اختفت بفعل التهديدات، أما الطبيب الذي أكد إجراء العمليات قد اندثر هو أيضا، فقد كان يتعامل مع مستشفى الأمراض العقلية والسجن، وكانت بحوزته وثائق تورط الكثير من المسؤولين، وجد مقتولا مع مساعدته وعشيقتة في نفس الوقت، "وجد ذات فجر معلقا هو وعشيقتة".²

أما رئيس البحث عن المفقودين فقد مات في حادث سيارة غامض وهنا يظهر مدى فساد إطارات الدولة بحيث تقضي على كل من يهدد سمعة السلطة وحكامها. تتخذ رواية "مملكة الفراشة" من الإرهاب كمحور رئيسي لها من بدايتها إلى نهايتها، وتتكشف هذه المحورية للإرهاب كمعاناة وكموقف وكمأساة وكحزن، وكهزيمة، وانكسار... إلى غير ذلك من أوجهه المتعددة، إنها تيمة الرواية وتشكل بالتالي الحدث الرئيسي لشخصها وللروائي أيضا.

هذا الإرهاب الذي رفع سلاحه في وجه كل من يخالفه الرأي، وحول البلاد إلى مجزرة مريعة، ذهب ضحيتها الآلاف من الأبرياء، فإن وقعته في القلوب والعقول قد يعادل وقع الثورة التحريرية أو أكثر من ذلك.

¹ - نفسه، ص 260.

² - واسيني الأعرج مملكة الفراشة، ص 261.



الفصل الثاني _____ المحنة من خلال رواية مملكة الفراشة

فرواية "مملكة الفراشة" بالرغم من أنها كتبت في الوقت الحاضر إلا أنها تناولت الفترة التي أعقبت الحرب الأهلية التي اشتعلت في بداية تسعينيات القرن الماضي في الجزائر، ضمن دوامة العنف والإرهاب الدموي، التي تحولت فيما بعد إلى حرب صامتة غير معلنة، ازدادت خطورتها ضراوة أكثر من قبل، وتمثل هذه المرحلة الرعب الرهيب على المواطن وعواقب نفسية وخيمة على المواطنين، "وعندما انتهت الحرب الأهلية فكرت في أن أرجع لحياتي الطبيعية ولكني لم أستطع لأن حياتي الأولى بكل بساطة انتهت مع الحرب".¹

فرايان أخو ياما بطل الرواية أكبر دليل وضحية للإرهاب الذي دمر حياته بالكامل، " حتى أخي رايان الذي كان يمكنه أن يساعدني، فشل في كل شيء، احترق مثل فراشة ذهبت نحو النار بعينين مفتوحتين، لم ينجح في دراسته بسبب منزلق المخدرات التي وجد نفسه في دوامتها"²، الذي وقع أسيرا عند الجماعات المسلحة أثناء أدائه الخدمة الوطنية، فكان هذا الحدث وقع هائل في حياة رايان وانجرفه نحو المخدرات التي أودت به إلى السجن بتهمة القتل.

إذا كان الإرهاب هو التيمة الرئيسية والمدخل الرئيسي لسبر أغوار شخص الرواية فإن رواية "مملكة الفراشة" لا تقتصر عليها بل تضم إلى جانبها تيمة أخرى وهي: مشاهد القتل.

- مشاهد القتل

اقتحمت ظاهرة العنف في الرواية من خلال التصوير الفيزيولوجي لمشاهد الاغتيال والمجازر، فيما يمكن أن نسميه "بعنف المشهد"، حيث تتخلل الرواية أحداث الاغتيالات تبقى سمة الوصف الحسي للاغتيال والتمادي في تخيل الصورة الفيزيولوجية الصادمة عنصرا بارزا في رواية "مملكة الفراشة" بالقدر الذي تبدو فيه صورة الذبح وجر الرقاب والاغتيال والتعذيب بالجسد الإنساني من طرف الجماعات الإرهابية، ويمكن أن نستحضر منها:

إن هذه الجماعات الإرهابية تسلك أسوأ الطرق وحشية وهمجية، بأن تحول المواطن لقمة سائغة لسد شهيتها الوحشية، أفعالها وأعمالها التي تفنقذ العقل السليم، وحتى براءة الطفولة

¹ - نفسه، ص 211.

² - واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص 73.



وشذاها، لم تسلم من بشاعتهم في حرقها وتدميرها، دون رحمة وشفقة، " الطفلة التي قتلت في الصحن قبل سنوات؟ أتذكر أبكت الملايين، حتى الذين قتلت الحرب قلوبهم وحواسهم صرخوا، بشكل فجائي، بأعلى أصواتهم".

فعندما كانت هذه الطفلة تلعب بالحمام وتطعمها بمودة الطفولة قرب أحد الجوامع، سد طريقها ملثم قاتل يعنفها لأنها تطعم الحمام وقت صلاة المغرب وكان وجهه غامضا ومشوشا.

- "ألا تدخلين لأداء صلاة المغرب؟ وتتبعدي عن هذا الولي؟ هذا كفر..

- قالت سيدي الخوي ليس كافرا، ولي صالح طيب، أشفى الكثيرين ببركاته، أما الصلاة فمازلت صغيرة، لكنني أستطيع فعل الخير تعودت يوميا أن أعطي للحمام عشاءه قبل أن أنام".

- رد عليها القاتل بعنف " يجب أن تبعدي عن المحراب لأن وجودك يفسده".

- ردت عليه بلا أدنى خوف أو قلق " لا يمكنني يا سيدي أن ابتعد لأن الحمام سيموت جوعا إذا لم يجدني".¹

وفجأة سمع طلق ناري جاف بلا صراخ، طار الحمام، وبقيت الطفلة جثة هامدة في مكانها، الكل هرع إليها، ولكن بعد فوات الأوان، بقيت غارقة في دمها، وفي عمق يدها المفتوحة بعض حبات القمح الملطخة بالدم، الذي سال من رأسها، ومنذ ذلك لم يعد الحمام، وفرغت الساحة من أي حياة.

أما المشهد الثاني: مشهد خطف رايان من قبل الجماعات المسلحة أثناء أدائه الخدمة الوطنية، ومعه صديقه الذي قتل بلا رحمة وشفقة، " أشعر بألم كبير على إسماعيل، صديقي في الخدمة الوطنية، لقد ذبحوه أمامي مباشرة بعد المكالمة التلفونية، التي طلب فيها أخوه أن يمزقهم إربا إربا لأنهم قتلة ومجرمون، قطعوا رجليه في البداية، وكلما صرخ قالوا له نحن ننفذ ما طلبه أخوك منك فعله فينا، ثم قطعوا يديه ثم بتروا... وهو يصرخ بأعلى صوته

¹ - واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص 202.



الفصل الثاني _____ المحنة من خلال رواية مملكة الفراشة

ويستجديهم أن يرحموه بقتله، ثم فقأوا عينيه، بأصابعهم الغليظة، ثم قطعوا أظافره، ونزعوا أسنانه وهم يتلذذون حاولت أن أتفادى مشهد الدم لكنهم ضغطوا على رأسي بقوة ومنعوا عيني من الانغلاق...، وإسماعيل كالشاة في دمه قبل أن يقطعوا رأسه من القفا بمنشار صدي¹.

حيث كانوا يتلذذون بقتل الناس الأبرياء وكان الذبح طريقتهم المثلى في القتل، ظنا منهم أنهم يتقربون من الله دون رحمة وشفقة.

فهذه شهادة إدانة للجرائم التي قام بها الإرهاب في حق المواطن الجزائري، كما تمثل مأساة من المآسي التي خلفها العنف الإرهابي.

إذا هي تفاصيل الحياة في فترة التسعينيات، إبان المأساة، تفاصيل صورها الكاتب بطريقة رائعة للواقع المعاش، ومتخيل ذات الساردة، إذ أنه مزج بين الواقع والمتخيل لتحقيق عملا إبداعيا موسوما بالخوف والرعب وتشنتت الذاكرة.

2-2- الموت

ففي رواية مملكة الفراشة يزيح الروائي واسيني الأعرج قشرة غبار الأيام عن مآسي الحرب التي مضت، ولم تمض لأن الجراح لا تزال طرية تتأكلها الذكرى، وواقع الحال الذي لايزال يحفر في عمق حياة الناس في البلد، ويرفض الموت والقتل والجنون والعبث، ويرفض أن يدفن تحت التراب، ويسعف الأهالي لينسوا بعض المآسي المتراكمة... " صحيح أن اليوم لم يبق الشيء الكثير من تلك الحرب المجنونة، إلا بعض جنونها، لكن تصليح الداخل يحتاج إلى زمن كاف وإلى أجيال تمسح كل الخراب، الذي تسببت فيه."²

هي رواية مشومة بالدم تشرب برأسها وتتبعث من تحت التراب، مهما حاول الناس أن يهيلوه عليها ويدفنها في عمق الذاكرة لتموت، هي مرحلة حرب لا تزال ذكراها من حين لآخر، وتطفر قطرات الدم انهرق وسال بجنون لأن كل فرد يكون قد ترك شيئا من نفسه، حيث مدت الحرب الأهلية الطائشة يدها لتنتزع أبا، أما، أختا، أو قريبا لتدفنه في جوف

¹ - نفسه، ص 266-267.

² - واسيني الأعرج، ص 315.



الفصل الثاني _____ المحنة من خلال رواية مملكة الفراشة

المحنة، التي ضربت أطراف البلاد، فغرقت في الدم من جنوبها إلى شمالها، ومن شرقها إلى غربها، كان الموت الأعمى يمشي في الطرقات، وكان يأخذ كل من يصطدم به، إلى نهاية لا تكون هي النهاية الفعلية الذي يقتل الإنسان لكنه لا ينهيه في اللحظة.

" فريجه" أو "فيرجي" سكنها الموت لكنه لم ينهيه، عاشت ميتة في أحلامها، وفي انفصامها وفي آلامها وتخيلاتها، إن الموت غير المرئي الذي يحصد رقاب الناس، دون أن يعرف هؤلاء لماذا حدث هذا، وهذا هو الموت الذي يقتل دون أن ينهي صاحبه، فيرجي التي غزاها المرض النفسي جراء ما يجري حولها، " في حياة فيرجي كل شيء سار كل شيء بسرعة منذ مقتل بابا زوريا".¹

وخاصة بعد مقتل جارتها "رايسة" الروسية في سوق المدينة وترحيل جنتها ليلا حتى تضخيم الحالة إعلاميا، "وأن البلاد لا تزال غير مؤمنة حتى بعد انتهاء الحرب الأهلية لا أدري كل من دخل المسؤولية أصيبت بهذا الهوس لا يهم المقتول بقدر أهمية السياحة وكذبة السلام المعمم".

حتى أنها قررت أن لا تخرج من البيت، "بأن لا تقف عند العتبة التي سقط عندها أبي، لا تحدث أحدا، لا تزور أحدا ولا تخرج للساحة المكشوفة خوفا من الظلال التي كانت تراها على الأسطح"²، خوفا من أن تموت برصاصة طائشة.

صارت تسكن في الصور جنب حبيبها "بوريس فيان" الذي عشقته من خلال الكتب حين عملت مدرسة للغة الفرنسية لتصاب بلغتها، فيسكنها وتلتجئ إلى حبه وتكابر في استرداده من أحضان نسائه العديدا حتى أنها قالت لو كان بوريس حيا لطلقت الزبير وتزوجت به، فوقفت ياما ابنتها مستسلمة أمام مأساة أمها، وهي تراها تنتقل من حضن أبيها إلى حضن حبيبها بوريس فيان في الصورة التي أتقن الرسام "مراد" أو "ميرو" حينما جعل فريجه تسكن بجوار الكاتب، وكأنها النقطة حقيقة في الحياة وتعرفت إليه وجلست بجواره وأحبت، بوريس الذي توفي في يوم ولادتها، وتبقى كذكريات عن الزمن الفائت، "فجأة ذهلت مما رأيت من

¹ - واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص 128.

² - نفسه، ص 110.



الفصل الثاني _____ المحنة من خلال رواية مملكة الفراشة

صور بالغة الدقة، حتى أنني توهمت أن أمي عرفت بالفعل بوريس فيان وكانت حبيبته، كانت سعادة فيرجي كبيرة وهي ترى وهمها يتجسد".¹

حيث انتهى مصيرها في النهاية إلى موت رهيب في حالة انفصام خطيرة، "ماتت فيرجي في السكنة التي اشتقتها، وانتهى كل شيء وسقط الجسر الثاني من مدينة قلبي، لم أجتهد لحضورها جنازتها كما فعلت مع أبي، لا أدري السبب، ربما لأنني وجدت نفسي وحيدة أمام الموت، وكان علي تحمل كل شيء".²

الأب "زوريا" كما تتاديه ابنته "ياما" يغتال بدافع القيم الإنسانية البناءة دون ذنب يذكر داخل مجتمع فاسد، والأم تنتهي نهاية مأساوية وهي تدب بخطوات لولبية باتجاه الجنون، والأخ في السجن يخسر حياته بالتدريج وياما الساردة يعصمها وعيها من السقوط، وكوزيت تموت إنسانيا وجوهريا تنكرت لتاريخها وجذورها وقيمها.

تراكمت خسارات ياما منذ بدايتها في الحياة بألوان ومذاقات مختلفة، خسارة الحبيب الأول في الشباب من فرقة ديبو جاز، " كنت منكسرة من فقدان ديف الذي فضل صداقتي على حبي، تركني واختار جنونه قبل مقتله في ظروف غامضة".³

الذي توفي برصاصة طائشة على جسر الموتى الذي سمي بهذا الاسم لكثرة الوفيات فيه، لترتاد نحو وهم افتراضي تمثل في مملكة "زوكيربيرغ" " الفيسبوك" أو المملكة الزرقاء كما تتاديه، وتتعرف على كاتب مسرحي "فادي" أو "فاوست"، لامع هاجر هربا من المحنة، فكان الفيسبوك بمثابة الخيمة التي تدخلها ياما كلما اشتد بها الحزن وضافت بها الحياة، وتتوالى السنوات وتسافر الرغبات والآهات العشيقة عبر المسافات، وتصاب بخيبة أخرى، فالذي كانت ترأسه طيلة ثلاثة سنوات ما هو إلا أحد أقارب "فاوست" انتحل شخصيته لتصطدم بواقع مرير ومستقبل لم يكن في الأصل إلا أكذوبة ووهما وتلاعب بمشاعرها. وأنت يا لالةمولاتي؟ إلى اليوم تعيشين على وهم رجل سكن في الكمبيوتر فقط".⁴

1- نفسه، ص 161-162.

2- واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص 185.

3- نفسه، ص 322.

4- نفسه، ص 139.



فكان العزف على الكلايينات من أفضل الوسائل التي ساعدتها على استنزاف الحزن والكآبة واليأس وتحدي الموت بالموسيقى .

إن الموت حاضر وبشكل كبير في عالم البطلة الداخلي الذي أسهم في دمارها النفسي، واغترابها الوجودي، الذي تعاني منه طيلة الوقت، فأشكال الموت تظهر بأشكال مختلفة ومتعددة، وكلها مخزونة في ذاكرة "ياما".

فتيمة الموت تتكرر أيضا بشكل أو بآخر، لأن ذلك أمرا طبيعيا في رواية "مملكة الفراشة" وذلك تعبير عن رؤية وجودية.

فالموت الذي يرقد في خاصرة الوطن يجعل منه الضحية، لأحد يعرف مصيره، هكذا تدور رحى الحرب الصامتة، وهكذا نصيب المواطن من حرائقها اليومية. "كنت مقتنعة كليا بأن الحرب التي انتهت، خربت البلاد ماديا، والحرب الصامتة الداخلية خربت الناس داخليا، والحرب القادمة، ستمزق البلاد والعباد، وستدخل الناس في وحشية مطلقة، من التقتيل، مدمرة وبشكل نهائي كل نسيج القرون الماضية".¹

فتيمة الموت تشكل الحدث الأكثر مرارة، والأكثر حضورا في حياة البطلة فإذا كان الموت في الرواية يكوّن جوا مأساويا شاحبا على صعيد المضمون فإنه في الوقت ذاته يشكل لازمة متكررة منتظمة على صعيد البناء الروائي، وإيقاعا ظاهريا مأساويا، وتسهم في خلق الحالة التوتيرية، التي هدأت في لحظة عادت إلى توترها، وإشعالها في لحظة تالية بعد حادثة موت جديدة، فهو بأشكاله المختلفة مستمر ومؤلم، ولذا فإن الشعور بالمحنة مستمر في أعماق البطلة.

2-3- قتل المثقف

تظهر قيمة المثقف بشكل جلي داخل فصول رواية "مملكة الفراشة" باعتباره محور فعال في المجتمع ومنازة للعلم والتطور وازدهار الأمم، كما أن الروايات التسعينية، تحدثت عن

¹ - واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص 168.



الفصل الثاني _____ المحنة من خلال رواية مملكة الفراشة

محنة المثقف وجعلت منه أحداث روايتها، لأن الجماعات الإرهابية كانت تستهدف هذه الطبقة لما تمثله من خطورة عليهم.

ويتضح من خلال رواية "مملكة الفراشة" أن أفراد عائلة الزبير كلها متعلمة، حيث نجد "ياما" ووالدتها "فيرجي" مولعتان بقراءة الروايات الغربية لدرجة الهوس بالمؤلفين وهذا ما يتضح في قول ياما "أقرأ يا يما الروايات والمسرحيات غير الفرنسية، الأمريكية، اللاتينية، العربية والاسبانية".¹

كما أنها عائلة مسلمة من خلال تركيز فيرجي على ديانة ديف كونه من أصول يهودية.

- "هل هو مسلم؟ أسألك فقط لا عيب في ذلك..."

- هو مثل جده وأبيه شيوعيو ثوريون كلهم ولا أعتقد أن الدين يشكل هاجسا لهم".²

فياما بطلة الرواية شخصية مثقفة، وصيدلانية وقارئة للروايات مولعة بالموسيقى وعضو في فرقة ديبو جاز وتتواصل مع "فاوست" عبر الفيسبوك، كانت مولعة بالأسماء وهذا نتيجة تأثرها بالروايات الغربية، "أتساءل أحيانا من أين جاءت لي لعبة الأسماء؟ ربما من كثرة ما قرأت؟"³

فوالدتها هي من كانت تشجعها على قراءة الروايات وفي ذلك نجد "فيرجي كانت معلمي الأول في القراءة وحب الأدب، وتعلم اللغات هي من منحتني كتبا لأول مرة بالفرنسية، ثم بالإسبانية، ثم بالإنجليزية ثم بالعربية".⁴

تعمل عازفة في فرقة ديبو جاز الموسيقية، لكن بعد اغتيال والدها تتولى مهمة إدارة صيدلية والدها المتواضعة، لإنقاذ الناس، بالرغم من الصعوبات التي واجهتها وهذا ما يتضح في قولها: "أركض طولا وعرضا، بين مختلف الإدارات المالية والإدارات لفتح الصيدلية بالخصوص بعد التهديد بنزع الرخصة مني، إذا لم أمتثل للقانون"، وقولها أيضا: "وعدتها بحل المشكلة بمجرد إعادة فتح صيدلتي".⁵

1- واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص 125.

2- نفسه، ص 31.

3-، ص 85. نفسه

4- نفسه، ص 192.

5- واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص 117.



فالمثقف في رواية المحنة ورواية "مملكة الفراشة على وجه الخصوص يتعرض لمختلف أساليب القمع والإرهاب المادي والفكري، وهو نموذج للإنسان الجزائري الذي قهرته سنوات العنف والإرهاب، فالمثقف هنا ليس متحررا بل تمارس عليه طقوس عديدة كتضييق الخناق عليه ومحاربتة وقتله ونفيه وإن كان ذلك مستبعدا، لأن مرتبة القتل هي الأولى.

وهذا الخناق أو التضييق قد يكون من طرف الجماعات الإرهابية التي تقوم بتصفية كل من وقفوا ضدها، وكذلك سلطة لا ترحم ولا تؤمن بحرية التعبير، زعما منها أنها تحافظ على الأمن والاستقرار في البلاد وأن لا تشوه سمعة البلاد السياسية.

وهذا ما حدث مع "الزبير" والد "ياما"، الذي عاد مع مخابره للأدوية لخدمة الوطن وفي الأخير قتل بسبب مافيا الأدوية لكشفه التلاعب بالأدوية حيث تقوم الدولة بأعمال إرهابية بطرق غير مشروعة لكل من يهدد السلطة وحكامها .

وكذلك فاوست أو فادي مسرحي معروف ويعتبر أن المسرح منفذ الوحيد من العزلة، عاش حياة صعبة غادر البلاد خوفا من الموت والوضع القاسي الذي عانى منه أثناء الحرب الأهلية فقد اختار المنفى على الموت في صمت الذي قارب العشر سنوات "ماذا أقول عن منفاي الذي قارب العشر سنوات؟"¹

فيعود لأرض الوطن بعد فترة طويلة "الكاتب والمسرحي الكبير فادي يخترق المنفى بالعودة النهائية إلى أرضه ووطنه"² ، لعرض مسرحية لعنة غرناطة بطلب من الوزارة الجزائرية لتستخدمه كطعم حفاظا على الأمن السياسي للبلاد.

فيرجي أو فريجه شخصية مثقفة ومعلمة للغة الفرنسية في ثانوية ألكسندر دوما، اضطرت إلى التقاعد بسبب التهديدات وصديقاتها اللواتي أصررن على المتابعة ذبحن بلا رحمة، "

¹- نفسه ، ص 21.

²- نفسه، ص 257.



الفصل الثاني _____ المحنة من خلال رواية مملكة الفراشة

أي زمن هذا؟ هم من دفعوني إلى التقاعد من عملي الذي أحبه بقوة تخيلي حرّموا اللغة الفرنسية على الكل، وقالوا أنها من بدع المستعمر... كل اللواتي أصررن على التدريس دُبحن تخيلي؟، كيف تصبح لغة ما سببا في القتل؟¹.

بسبب مخلفات الحرب الأهلية وما عقبها من حرب صامتة وخاصة بعد مقتل زوجها الزبير، دخلت في عزلة قاتلة وعالم مليء بالهلوسة والجنون، فانهارت في الفضاء الروائي للرواية المعروفة "فرجينيا وولف"، التي أنهت حياتها بالانتحار، وبعد ذلك تصاب بمجنون آخر الكاتب "بوريس فيان" إلى حد الهوس وانفصام في الشخصية أودى بحياتها في النهاية. رايان شاب حالم بمستقبل ملؤه الأمن والاستقرار، "حلم كثيرا بأن يكون ممثلا لكنه ظل مرتبطا بقوة بدراسته والعائلة كلها تفتخر به كان يدرس القانون الدولي، وله أحلام كبيرة في الدخول إلى الأمم المتحدة والدفاع عن حقوق الكيانات الضعيفة"².

وكان للحرب تأثير سلبي على حياة رايان، فمذ اختطافه من طرف الجماعات الإرهابية، دخل في عالم المخدرات التي دمرت حياته بالكامل، لتؤدي به إلى السجن بتهمة القتل وبقي مصيره مجهول في الرواية، فهل مات في الحريق الذي مس السجن؟ أم هرب؟.

فالمثقف في الرواية أختير مصيره عن طريق تأثير الأحداث والحرب الصامتة في الحياة الشخصية لأبطال الرواية، ومن خلال رصدنا للشخصيات المثقفة في رواية "مملكة الفراشة"، يتضح لنا أن المثقف كان مستهدف سواء من طرف السلطة أو من طرف الجماعات الإرهابية التي تعمل على إطفاء شمعه التي تنير البلاد، والذي يعتبر رمزا للوعي والثقافة الجزائرية.

فالمثقف العربي هو مسير وليس مخيرا، على عكس المثقف الغربي الذي أوصل مجتمعه إلى بر الأمان.

¹ - واسيني الأعرج: مملكة الفراشة ، ص 192.

² - نفسه، ص 262.



3_ النزوع الدرامي

لما كان التجريب وسؤال الحداثة هاجس الكاتب، سعى إلى تفاعل الرواية مع الأجناس الأدبية الأخرى، وبخاصة فن المسرح، والتفاعل بين الرواية والدراما ما يشير في أحد جوانبه إلى مرونة الفن الروائي، وقدرته على الاستفادة من معطيات الفنون الأخرى، يهدف إلى تطوير الشكل الروائي وتطويعه، كي يستوعب معطيات وتقنيات جديدة للوصول إلى رواية عربية قادرة على التعبير عن الوعي الفكري، والجمالي للعصر الذي تنتمي إليه، دون أن تفتقد الكتابة الرواية عبر هذه المثاقفة الواعية سماتها وخصائصها، وهويتها المرنة، لذا صار من الطبيعي أن تتلاقى مسيرة الرواية العربية المعاصرة بتيارات شتى، ومدارس متعددة ورؤى إبداعية مختلفة.

ويبدو أن جنس الرواية من خلال هذه المثاقفة صار جنسا أدبيا عابرا للأجناس، بما انطوى عليه شكلها الفني من قدرة فائقة على الاحتواء والتبدل، نهلت الروايات من الأساطير الأقدم وجودا من التراجيديا والملحمة، واستعارت من الملحمة سرديتها القائمة على وجود راو ومن الدراما وحوارها الذي يشكل أبرز ملمح نوعي فيها.

إن الرواية في زمننا الراهن لها بحق الأهمية بين الأجناس الأدبية الأخرى القديمة، أو الأجناس الرئيسية، والأجناس الأدبية الفرعية، التي لم يكن لها ما يعبر عنها قبل ظهور الرواية.

وترى بعض الدراسات ضرورة الربط بين الشكل الروائي، والشكل الدرامي لوجود صلات عميقة بين الفن الدرامي والرواية.



- البناء الدرامي:

لقد بدأت الدراما تأثر بشكل ملحوظ على الكتابة غير الدرامية، وفي لغة النقد أيضا وليس من قبيل التوهم القول بأن المواجهة بين الأدب والناقد هي من حيث الجوهر درامية بحد ذاتها.¹

فعند قراءة نص ناجح يحس المرء كأنه يعيش ذلك بالفعل أو الوضع، أو ذلك الجزء من الحياة، إن الوضع هنا يشبه الوضع الدرامي، ومثلما يكون الوضع الدرامي مكونا من توتر معقد يكون الوضع الذي يخلفه النص، كذلك فالقارئ حينما ينساق إلى الأحداث لدى حدوثها فهو في علاقة درامية، "إن ما أتذوقه في قصة من القصص ليس هو مضمونها مباشرة ولا بنياتها ولكنني أتذوق بالأحرى الخدوش، إنني أركض، أقفز، وأرفع رأسي، وأعود للغوص ثانية".²

ويقدر "رولان بارت" حالات درامية يمر بها القارئ إزاء فعل النص، فكما أن الدراما فعل، فالنص فعل تكوين لا يتحقق إلا حينما ينظر إليه كفعل تم واكتمل وتبلور في مادة نصية، ومثلما تكره الدراما الرتابة يكره النص السكونية، لأنه صيرورة وتحويل زعزعة وضعف وتحدي للواقع والجهود، وفي هذا تكمن دراميته أو ديناميته، وبهذا نستطيع أن نسوغ القول الذي يشير إلى أن "الأدب يطمح برمته إلى بلوغ حالة الدراما"³. بل يطمح القراء المعاصرون إلى بلوغ حالة الدراما في النص، فإن كانت الدراما تولد نوعا من رد الفعل الجماعي، فإن الدرامية تولد نوعا من رد الفعل المنصب في القارئ، وليست الدرامية وقفا على المسرح إذ ثمة تواصل عميق بين المسرحية والملحمة، والرواية والأسطورة، والحكاية، والقصة، والنكتة، وذلك لأن جميع هذه الأنواع الأدبية تؤدي وظيفة واحدة في جوهرها وأعماقها، ألا وهي نبش الدرامية المبتوثة في الوجود والمجتمع والنفس البشرية.

- علي تميم: السرد والظاهرة الدرامية، دراسة في التجليات للسرد العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،¹ المغرب، ط1، 2003، ص 10.

² رولان بارت: لذة النص، تر: منذر عياشي، مركز الانماء الحضاري، سوريا ص 30-36،

³ - علي تميم: السرد والظاهرة الدرامية، ص 14.



الفصل الثاني _____ المحنة من خلال رواية مملكة الفراشة

فالعامل الدرامي يسعى إلى خلق انفعالات ويبرز الشخصيات في عظمتها وانحطاطها، وهي تصطدم مع شرطها الخارجي الذي يأتي على النقيض منها، وليس أي تصادم يحمل طابع الدرامية إلا إذا توفرت الأزمة ، فاللحظة الدرامية المأزومة هي المعبأة بالتوتر والتي تتحرف بمسار السرد ويجعله ينمو حتى تتأزم ذات القارئ.¹

فأفكار الشخصيات ودوافعها حولت إلى أحداث، وحيوية الأحداث وحركتها هي التي تدفع القارئ إلى مراقبتها بالاهتمام.²

ويحذر "لوبوك" من ضرورة الإفراط في توظيف تقنيات الدراما في العمل الروائي، لأن ذلك يخل بالبناء الروائي ويضعفه حيث يقول: "يجب أن يكون في الحسبان أن الدراما هي أعلى مصباح عند الكاتب، الذي هو بمثابة الورقة البيضاء أو الدهان الأبيض عند المصمم، إذا أسرف في استعماله دون حاجته فإن ذلك يعني تبديد قوته، في وقت تكون فيه تلك القوة ضرورية جدا، ولذلك فإن النهج الاقتصادي يستدعي اختزانه أكثر، وادخاره للمناسبات المهمة".³

بعد هذا التقديم المتعلق بالجاني التنظيري يمكن استجلاء درامية النص في "مملكة الفراشة" أي البحث عن ملامح فن الدراما حول الروائي واسيني الأعرج روايته إلى مبنى درامي، شأن المسرحية التي تحافظ على وحدات تحقيق المحاكاة.

فهناك وحدة الزمن إذ تدور الرواية في زمن محدد هو العشرية السوداء، أو الحرب الأهلية الجزائرية في التسعينيات وما بعده أي بعد انتخابات 1992، وما جرت به على الوطن والمواطنين، من دمار، واحتكام ظالم إلى آلات التقتيل وفقدان الثقة فيما بين الفرقاء والأطراف، وسكان البلد الواحد، حيث تنهار قنوات الحوار والتواصل وتهيمن إدارة الرصاص التي لا فرق بين القاتل والمقتول لأنهما من وطن واحد، وحيث تغيب سنة التواصل، فتلك علامة صريحة على افتقاد الجوهر الحقيقي للإنسان والعودة إلى منطق الغاب والأنياب،

¹ - علي تميم: السرد والظاهرة الدرامية ، ص 16.

- صحبة أحمد علقم: تداخل الأجناس الأدبية في الرواية العربية، النظرية الدرامية نموذجاً، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، 2000، ص 50.

³ - نفسه، ص 50.



الفصل الثاني _____ المحنة من خلال رواية مملكة الفراشة

حيث عبر عنها واسيني الأعرج: "حرب أهلية تحرق الأخضر واليابس، يكيد فيها الأخ لأخيه ولا يرتاح إلا إذا سرق منه بيته وحياته وحبه وأسكن في قلبه حقدا لا يمحي، سيوقظه قتلة قادمون يشيدون به خرابهم السري".

تدور أحداث الرواية حول أسرة جزائرية من الطبقة المتوسطة من أب وأم وابن وتوأم ابنتين، وتقوم إحدى الأختين بدور السارد لترسم مصيرا فاجعا للأسرة بكاملها، حيث فشل الوطن في أن يصبح فضاء لتنافس المواطنين على قيم البناء والتفاني والعطاء، بل أصبح وكرا للأنانية والإقصاء والنهب، نهب الصالح العام من أجل الاغتناء بكافة الطرق.

ومادامت الجزائر قد عانت وتخبطت في دماء أبنائها جراء العنف الإرهابي فإن الذاكرة مغسولة بدم الجزائر المراق، ولهذا فمرحلة الخلاص من جحيم الحياة اليومية للذات التي تنتابها رؤى الفجيعة الكابوسية من الخوف والقلق، الحذر، الرعب، الترقب... "هذه المدينة التي لا تستفيق إلا على الأخبار الغربية والكثير من الخوف، مع أن الحرب الأهلية انتهت وسحبت نيراها وبعض رمادها"¹. وهذا ما أكد عليه واسيني بقوله: "فالحروب أيا كان نوعها، ليست فقط هي ما يحرق حاضرنا، ولكنها أيضا ما يستمر فينا من رماد حتى بعد خمود حرائق الموت في ظل ظلمة عربية تتسع بسرعة الدهشة والخوف".

ويتعزز النزوع الدرامي في "مملكة الفراشة" بمظاهر شديدة الدلالة على مأساوية الحياة في الحياة وفجائعتها، وكأن الرواية بتلاوينها الدرامية المختلفة مرثية للجزائر، ومصائرنا القيمة الحققة في رحلة الموت المنشرة في حرب صامتة كما يقول واسيني " لا أحد يستطيع توصيفها لأنها من غير ضجيج ولا ملامح وعمياء كلما لامسناها غرقنا في بياض هو بين العدم والكفن"، ثم تتوالى عملية انسجام الذات المطاردة في فجائية الذات العامة، فالجزائر المحاصرة بالإرهاب وتواطئ النظام الجزائري مع القتلة في صمت وما يشبهه، مما تتفنن الرواية في تصوير الفجائية في أساليب متعددة "الحرب الأهلية والحرب الصامتة أنجبنا

¹ - واسيني الأعرج،: مملكة الفراشة، ص 112.



الفصل الثاني _____ المحنة من خلال رواية مملكة الفراشة

كائنات علقية تمتص روح كل شيء ولا تترك إلا العظم واقفاً قبل أن يهر الجسد كلياً من تلقاء نفسه، كائنات غريبة جعلت من الجهل والامية قيمة؟ أي زمن هذا؟¹

كما تبلغ الدراما أقصاها في الجزء الأخير، عندما تكتشف "ياما" حقيقة "فاوست"، وقصة الحب التي عاشتها معه في المملكة الزرقاء ما هي إلا وهم افتراضي والشخص الذي كانت ترأسه منذ أكثر من 3 سنوات انتحل شخصيته، "كل شيء كان يبدو لي في حالة دوام دائم"، "شعرت بجرح كبير يتفتح في"²، وهذا ما يؤكد صدمة ياما بالحقيقة المرة، حيث نبهها والدها الزبير بخطر المملكة الزرقاء بقوله: "الأقدار المرتسمة فيها تلحق بنا بسرعة خل الحياة متوازنة بين حياة ملموسة وحياة نصنعها بخيالاتها الكثير من اللحظات ليست طبيعية في هذه المملكة".³

فالوهم الذي كانت تعيشه ياما صعب تقبل حقيقته لأنه قد يؤدي إلى الجنون "كنت خائفة فقط من الانفجار والجنون"،⁴ فهي عاشت في عالم افتراضي اعتبرته حقيقياً وهربت إليه من العالم الفعلي لتعود وتكتشف خبيتها.

فرواية "مملكة الفراشة" نموذج لمصير أسرة جزائرية دمرتها الحرب الصامتة في وطن لا يسهر على أبنائه، مليء بالفساد والفوضى، فكل القطاعات تعاني من الفساد الكلي: الصحة، العدل، الثقافة، السياسة، الاقتصاد...

ليس نقد الأوضاع ما جعل الرواية قامة فنية مرتفعة، بل نجاح الكاتب في خلق عالم سردي شامخ حيث تتداخل المقاطع السردية والوصفية والحوارية لخلق كل المقومات الإثارة والجمالية، فالإبداع بمثابة بلسم ل مداواة جراح الروح، ومجابهة الموت، والإعلان عن التشبث بالحياة وسط هذا الخراب والسواد القاتم المتسلل لحياتنا بوحشية لا ترحم.

1- واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص 192.

2- نفسه، ص 391.

3- نفسه، ص 395.

4- نفسه، ص 391.



خاتمة

نشعر ونحن نقرأ نصوص الروائي "واسني الأعرج" أننا أمام كاتب متميز، له القدرة على قدرة كبيرة على التحرك في عالم اللغة، كما له دراية عظيمة بعنوان الكلم والتعبير، فرغم تزايد عدد رواياته إلا أن الاهتمام بتجربته وقرائنها لم يتجاوز حدود التعريف أو القراءة السريعة، فقراءة نقدية جادة كفيلة بموقعته ضمن النتاج الروائي العربي.

ومن خلال هذا يمكن الوقوف عند أهم النتائج المستخلصة من بحثنا هذا حول: "أدب المحنة عند واسيني الأعرج رواية مملكة الفراشة أنموذجاً"

- تناول الروائي الجزائري واسيني الأعرج في روايته مملكة الفراشة أهوال الحرب الأهلية الجزائرية وما خلفته من آثار على البلاد والعباد.

- إن رواية مملكة الفراشة لم تكن رواية تاريخية بقدر ما كانت رواية تشتغل على التاريخ كوسيلة مرجعية سردية.

- تستوحي رواية مملكة الفراشة من مرحلة العشرية أو الحرب الصامتة في التسعينيات باعتبارها زمنا مرجعيا لأحداثها والربط بين مرحلتين مرحلة الحرب الأهلية ومرحلة الثورة المعلوماتية التي انغمس فيها الشباب العربي كوسائل التواصل الاجتماعي (Facebook) الفيسبوك.

- وقفت الرواية على محنة الجزائريين، والخوف من القنص المستمر والموت في محيط متعفن، حيث حولت الحرب شخصيات الرواية إلى كائنات سريعة الهشاشة كالفراشات منها من اختار الموت، ومنها من وقع عليها ومنها من اختار الغربة.

- جاءت الرواية فضاء حرا، وفقت في اللقاء بين اللغة اليومية واللغة الفصيحة بين العالم الاجتماعي والنفسي والماضي والحاضر.



- إن الروائي مارس على نصه جملة من التقنيات السردية كالحوار الذي غلب على النص في بعض الأحيان، وما تعلق بالمستوى الزمني خاصة الاسترجاع، ونص مملكة الفراشة مترامي الأطراف، لأنه يمس مساحة زمنية شاسعة لأنه يحاول معالجة وضع برز خلال زمن معين، إنه يعطي لنفسه إمكانية تجاوز الواقع عن طريق الذاكرة مما يزيد النص روعة وتشويق للقارئ.

- لديه جرأة بالغة في اقتحام الممنوع وكسره خاصة المواضيع المطروحة (السلطة، الإرهاب)، بمعنى أن الكاتب يسعى إلى مخالفة السائد لإثبات ذاته ورأيه.

- من يقرأ لواسيني الأعرج يجد تعلقاً بين التجربة الذاتية والروائية لهذا الكاتب خاصة أنه عايش فترة الحرب الأهلية، لينقل لنا سيرة جيل كامل تحت وطأة الموت البارد الذي يأبى أن يطمس هذه الذاكرة.

وبعد فقد بذلت ما استطعت وأرجو أن أكون قد وفقت وما توفيقي إلا على الله عليه توكلت وإليه أنيب.



الملاحق

أولاً: ملخص الرواية.

تمحورت رواية "مملكة الفراشة" حول الواقع الجزائري بعد الحرب الأهلية "الحرب الصامتة" وما تخلفه من دمار وموت فقد أخذت هذه الحرب الأب والأم والأخ والأخت فكل أخذت منه شيئاً عزيزاً عليه ونجد الرواية تدور أحداثها حول عائلة جزائرية مؤلفة من خمسة أفراد عايشت الحرب الأهلية فكان لها الأثر الواضح في تحديد مصائرها.

ونجد بطلة الرواية "ياما" أو "مارغريت" التي اختارت البقاء مع عائلتها والعمل على إحياء الصيدلية بعد وفاة والدها والوقوف بجانب والدتها، والسعي المتواصل لإخراج شقيقها من السجن في ظل هذه الظروف الصعبة التي عايشتها لجأت إلى طوق أزرق للنجاة هو "مملكة الفراشة" أو مملكة "زوكيربيرغ الزرقاء" "الفيسبوك" هناك حيث تلتقي بحبيبها فادي والذي أطلقت عليه اسم "فاوست" الذي استمدته من رواية "فاوست غوته" الذي يبيع نفسه للشيطان للحصول على المعرفة فتتقده حبيبته "مارغريت" من الشيطان، حيث يرى "فاوست" فيها المنقذة ويطلق عليها اسم "مارغريت ياما" كانت ترفض المسلمات الجاهزة وعلى الدوام تشك في صحتها لم تؤمن بالأسماء العادية وتسعى دوماً إلى إسقاط الشخصيات الروائية على شخوص حياتها المعاشة فهي ترى بأن الأسماء التي تسقطها عليهم تتوافق معهم.

الأب "الزبير" أو كما أسمته "ياما" بابا زوريا" في رواية "نيكوسكازانترانتراكسي" الذي كان يعمل في مختبرات الأدوية العريقة في أوروبا وأميركا قاده التعلق بوطنه إلى العودة إليه والمخاطرة بمصير عائلته التي تجرعت مرارة العودة فيما بعد، زوجته التي لم توافقه على قرار العودة، "ياما" الصيدلانية وعازفة الكلايرينات في فرقة ديبو جاز، ماريا فقد هجرت عائلتها في وقت مبكر و"رايان" الذي قاده قدره إلى السجن المؤبد بعد اتهامه بالقتل، فكان لكل فرد في من هذه الأسرة نهاية مؤلمة بسبب الحرب الأهلية فالأب الذي عاد متشوقاً إلى وطنه انكسرت أجنحته رمياً بالرصاص من قبل مافيا الدواء حيث كان ينوي فضح تصرفاتهم المشبوهة بالتلاعب بالأدوية والتجارة والمخدرات.



والابن الذي غرق في مستنقع المخدرات بعد تعرضه لمشاهد مرعبة أثناء خدمته الإلزامية والذي كان مولعا بتربية الخيول ومنافسة أكبر مربى الذي قام بحرق حظيرة رايان فقام الأخير بقتله ونال جزاء فعلته حكما مؤبدا أما "فيرجي" التي اعتزلت الحياة بعد وفاة زوجها وغرقت في بحر أوهامها حيث صارت تسكن جنب حبيبها "بوريس فيان" الذي أحبته خلال كتاباته رغم موته والوهم الذي عاشته كان بسبب موت الزوج وفراق الابن ورحيل البنت فكان انقسام شخصيتها وعيشها على الوهم والموت تدريجيا.

أما "ماريا" فقد انتهجت سلوكا مغايرا وغادرت البلاد في وقت مبكر، وكانت تختلف عن "ياما" إلى حد كبير فقد كانت تهتم بنفسها فقط، ولم تعد للأهل إلا عند اقتسام التركة مع أختها ولم تقم بزيارة قبر أمها أو زيارة أخيها في السجن وبعدها عادت إلى حياتها وإلى عملها.

أما "فاوست" كان مؤلفا مسرحيا شهيرا ينوي العودة إلى بلده ليقيم مسرحية لعنة غرناطة والذي بقيت ياما على علاقة به لأكثر من ثلاثة سنوات عبر "مملكة الفراشة" والتي عشقته بكل جوارحها والتي بنت معه أحلاما كبرى لتكتشف أنها مجرد أحلام فهي لم تخاطب "فاوست" بل مدير الصفحة، وأن "فاوست" لم يسمع باسمها إلا ساعة توقيع المسرحية، وهنا كانت الصدمة الكبيرة عليها وقامت بحرق جميع الرسائل التي كتبتها له وتهيم على وجهها في عتمة يملؤها السواد.

وهذه هي أهم الأحداث التي مرت بها رواية مملكة الفراشة.



ثانيا: لمحة عن حياة واسيني الأعرج.

1_ حياته:

ولد بقرية سيدي بوجنان في 08 أوت 1954، ولاية تلمسان المجاورة للحدود المغربية، نشأ في بيئة عائلية فقيرة تلقى تعليمه الابتدائي بمسقط رأسه، ثم زاول تعليمه الثانوي بتلمسان، وبعد نجاحه في البكالوريا انتقل إلى جامعة وهران التي تخرج منها سنة 1977 متحصلا على شهادة ليسانس في الأدب العربي.

واصل دراسته العليا في جامعة دمشق، حيث أحرز درجة الماجستير في 06/11/1982، عن بحث يتناول "اتجاهات الرواية العربية في الجزائر" ثم الدكتوراه في 20/06/1985، عن أطروحة تتناول (نظرية البطل، ملامحه في الرواية الجزائرية والعربية).

وبعدها عاد إلى الجزائر حيث التحق بجامعة الجزائر سنة 1985 أستاذا للأدب الحديث، ثم أستاذا زائرا ومشاركا بعدة جامعات فرنسية ابتداء من سنة 1994.¹ فهو روائي وقاص وناقد، ذو اهتمامات إبداعية وأكاديمية متعددة يعد أغرز الكتاب الشباب وأنشطهم، وأكثرهم حماسا ودعوة إلى جانب التجريب في القصة القصيرة وفي الرواية. واستعمل في كتاباته أسلوب المقاطع وتوظيف اللغة الشعرية وأسلوب التداعي والمونولوج وأسلوب المشاهد.²

2- العمل الأكاديمي:

- بروفيسور بجامعة السوربون، باريس من 1994 إلى اليوم.
- أستاذ زائر بجامعة كاليفورنيا منذ 1989 بجامعة الجزائر المركزية.
- أستاذ زائر بجامعة كاليفورنيا بلوس أنجلس (UCLA)، بأمريكا 1190-2000.

يوسف و غليسي: النقد الجزائري المعاصر، دار المعرفة الجامعية دار البشائر، الجزائر، د ط، 2002، ص 210. 1 -

شريط أحمد: تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، دار القصة، الجزائر، ط 1، 2009، ص 349. 2 -

- أشرف على فرقة البحث الجامعية: حول الرواية والأشكال السردية -1988-1993.

- عضو المجلس العلمي من سنة 1987 إلى 2001.
- أشرف على وحدة الأدب المغاربي بجامعة الجزائر المركزية 2007-2009.
- أسهم في مناقشة العديد من الأبحاث العلمية والفكرية والعربية والأوروبية المتخصصة في السرديات والمسرح والشعر.

3- النشاط الأدبي والثقافي:

- أدار اتحاد الكتاب الجزائريين من سنة 1990 إلى سنة 1994 كنائب للرئيس وكمؤسس ومشرف على مجلة الاتحاد "المساءلة".
- عضو مؤسس لجمعية الجاحظية الثقافية والأدبية برفقة الروائي الراحل الطاهر وطار ونخبة من الكتاب.
- أشرف على إصدار السلسلة الأدبية "أصوات الراهن" باتحاد الكتاب الجزائريين والتي تهتم بالتجربة الأدبية الشابة في الجزائر.
- ساهم في العديد من الندوات العربية والعالمية المتعلقة بموضوعات الكتابة، ووظيفة الكاتب، السرد، تحديات الفكر العربي، العولمة والثقافة، المثاقفة، الحداثة، الأنا وغيرها من موضوعات العصر في بلدان عربية وأجنبية.
- أعد وأنتج حصة "أهل الكتاب" التلفزيونية التي تهتم بوضعية الكتاب والمقروئية في الجزائر والوطن العربي والتي بثت في التلفزيون الجزائري من سنة 1998 إلى 2002.
- أنتج سلسلة الديوان التلفزيونية والتي تحاول أن تتجز انطولوجيا مرئية عن الكتاب العرب منذ القرن العشرين.
- أنجز ثلاثية تلفزيونية وثائقية حول تاريخ النخب الثقافية في الجزائر 2004-2005.



- ترأس لجنة التحكيم للمسرح المحترف، الجزائر 2008.
- ترأس اللجنة العلمية للمسرح المحترف: فلسطين في المسرح 2009.
- عضو الهيئة الاستشارية العليا لجائزة الشيخ زايد للكتاب من 2007-2010.
- كما شارك في ترأس أو عضوية العديد من لجان تحكيم أدبية وفكرية عربية وعالمية: جائزة الأدب المتوسطي (فرنسا)، جائزة الدولة في الكويت، جائزة الدولة للآداب في سلطنة عمان، جائزة الرواية العربية، جائزة الأكاديمية العربية الأوروبية (فرنسا)...

3- الأعمال الروائية:

- البوابة الزرقاء (وقائع من أوجاع رجل)، دمشق 1980، الجزائر 1982.
- وقع الأحذية الخشنة، قصة مطولة 1981.
- ما تبقى من سيرة لخضر حمروش، دمشق 1982.
- نوار اللوز، بيروت 1983، الجزائر 1986 و 2001، ترجمت إلى العديد من اللغات.
- أحلام مريم الوديعة، بيروت 1984، الجزائر 1987 و 2001.
- ضمير الغائب، دمشق والجزائر 2001، ترجمت إلى الفرنسية.
- الليلة السابعة بعد الألف: رمل الماية، دمشق والجزائر 1993، ترجمت إلى الفرنسية.
- الليلة السابعة بعد الألف: المخطوطة الشرقية، دمشق 2002.
- سيدة المقام، ألمانيا 1990 والجزائر 1998 و 2002، ترجمت إلى الفرنسية وغيرها.
- حارسه الظلال، دار مارسا&إيدن، باريس 1996، صدرت بالفرنسية ثم بلغات أخرى.



- ذاكرة الماء، ألمانيا 1998 والجزائر 1999 و2001، ترجمت إلى الفرنسية والإيطالية.
 - مرايا الضرير، باريس 1998 بالنسبة للطبعة الفرنسية.
 - شرفات بحر الشمال، بيروت والجزائر 2001، ترجمت إلى الفرنسية وغيرها.
 - طوق الياسمين، المركز الثقافي العربي، الرباط وبيروت 2004.
 - كتاب الأمير، دار الآداب، بيروت والجزائر 2001، ترجمت بالعربية ولغات أخرى.
 - سوناتا لأشباح القدس، دار الآداب بيروت، 2008، ترجمت إلى الفرنسية وغيرها.
 - أنثى السراب، دبي الثقافية، 2009، دار الآداب 2010.
 - البيت الأندلسي، دار الجمل، بيروت، 2010، ترجمت إلى الفرنسية وغيرها.
 - جملكية آرابيا، دار الجمل، 2011.
 - أصابع لوليتا، دبي الثقافية 2012، دار الآداب، بيروت.
 - رماد الشرق، دار الجمل، 2013.
 - مملكة الفراشة، دار الصدى، 2013، ترجمت إلى خمس لغات.
- 4- الدراسات الأدبية والنقدية:**

- اتجاهات الرواية العربية في الجزائر 1986.
- النزعة الواقعية الانتقادية في الرواية الجزائرية، دمشق 1987.
- الجذور التاريخية للواقعية في الرواية، بيروت 1988.
- أتوبيوغرافيا الرواية، سلسلة دراسات، بيروت 1990.
- ديوان الحداثة، في النص الشعري العربي، اتحاد الكتاب الجزائريين 1993.
- الشعر الجزائري، طبعة فنية فاخرة، مزدوجة اللغة، خاصة بنسبة الجزائر بفرنسا قام بتخطيطها الفنان الكبير: رشيد قريشي، مجمع النصوص الغائبة



(انطولوجيا الرواية الجزائرية)، المؤسسة الوطنية للطباعة والإشهار، الجزائر
2008.

• على خطى سرفانتس في الجزائر، طبعة فاخرة، صدرت في إطار الجزائر
عاصمة للثقافة 2007-2008.

5- الجوائز الأدبية والعربية:

تحصل على الكثير من الجوائز منها:

- الجائزة التقديرية الكبرى الممنوحة من طرف رئيس الجمهورية، سنة 1989.
- جائزة الرواية الجزائرية على مجمل أعماله، سنة 2001.
- جائزة التلفزيون الأولى للحصص الثقافية الخاصة، عن البرنامج الثقافي التلفزيوني، أهل الكتاب، سنة 2001.
- جائزة قطر العالمية للرواية عن روايته "سراب الشرق"، 2005.
- جائزة المكتبيين الجزائريين عن روايته "كتاب الأمير"، 2006.
- جائزة الشيخ زايد للآداب، عن روايته "كتاب الأمير"، 2007.
- الكتاب الذهبي في المعرض الدولي عن روايته "سوناتا لأشباح القدس"، 2008.
- الدرع الوطني لأفضل شخصية ثقافية لسنة 2010 الممنوحة من اتحاد الكتاب الجزائريين.
- جائزة أفضل رواية عربية لسنة 2010 بحسب التقويم الإعلامي والصحفي والوطني والعربي عن روايته "البيت الأندلسي".
- جائزة كتارا العربية عن روايته "مملكة الفراشة" لسنة 2015.



قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم: برواية ورش عن نافع

أولاً: المصادر

1. واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، الفضاء الحر، منشورات البغدادي، ط 3، 2013.

ثانياً: المعاجم والقواميس

2. إبراهيم أحمد الزيات وآخرون: معجم الوسيط، تح مجمع اللغة العربية، ج 3، مكتبة مشكاة الإسلامية.

3. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور: لسان العرب، ج 14، دار صادر، بيروت، 2003.

4. رشيد بن مالك: قاموس التحليل السيميائي للنصوص، دار الحكمة، الجزائر، دط، دت.

ثالثاً: المراجع

5. إبراهيم سعدي: بحث عن آمال الغبريني، اتحاد الكتاب الجزائريين، طبع على نفقة الصندوق الوطني لترقية الآداب وتطويرها التابع لوزارة الاتصال والثقافة، الجزائر، 2004.

6. أحلام مستغانمي: فوضى الحواس، دار الآداب للنشر والتوزيع، ط 16، بيروت، لبنان، 2007.

7. أحمد يوسف، القراءة النسقية، سلطة البنية ووهم المحايثة، ج 3، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2003.

8. أحمد عبد الكريم: عتبات المتاهة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2007.

9. إدريس بوديبة: الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، ط 1، 2000.

10. إلياس بوكراع: الجزائر والرعب المقدس، دار الفارابي، بيروت، الجزائر، ط 1، 2003.



11. آمنة بلعلي: المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف، دار الأمل للنشر والتوزيع، د ط، د ت.
12. بن جمعة بوشوشة: سردية التجريب وحادثة السردية في الرواية العربية الجزائرية، المطبعة المغاربية، للطباعة والنشر، تونس، ط1، 2005.
13. ثامر إبراهيم الجهماني: مفهوم الإرهاب في القانون الدولي، دار الكتاب العربي دار حوران، الجزائر، ط1، 2002.
14. الحبيب السايح: تماسيخت، دم النسيان، دار القصة للنشر والتوزيع حيدرة ، الجزائر، 2002.
15. حسين خمري: فضاء المتخيل مقارنة في الرواية، منشورات الاختلاف، ط1، 2002.
16. حميد لحميداني: النقد الروائي والإيديولوجيا، (من سوسولوجيا الرواية إلى سوسولوجيا النص الروائي)، المركز الثقافي العربي، بيروت، د ط، 1990.
17. رشيد بوجدر: تميمون، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، ط 1، الجزائر، 1994.
18. رولان بارت: لذة النص، تر: منذر عياشي، مركز الإناء الحضاري، سوريا.
19. سعاد عبد الله العنزي: صور العنف السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة، دار الفراشة للطباعة والنشر، الكويت، ط1، 2010.
20. شريط أحمد: تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، دار القصة ، الجزائر، ط 1، 2009.
21. الشريف حبيلة: الرواية والعنف - دراسة سوسيونصية في الرواية الجزائرية المعاصرة - عالم الكتب الحديثة للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2010.
22. صحبة أحمد علقم: تداخل الأجناس الأدبية في الرواية العربية، النظرية الدرامية انموذجا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، 2000.

23. عبد الكريم حسن: المنهج الموضوعي، شراع للدراسات للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط 2، 1996.
24. عبد الناصر حرير: الإرهاب السياسي - دراسة تحليلية مكتبة مدبولي، مصر، ط1، 1996.
25. علي تميم: السرد والظاهرة الدرامية، دراسة في التجليات للسرد العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2003.
26. علي حرب: أزمة الحداثة الفاتكة، الإرهاب، الإصلاح، الشراكة، المركز الثقافي العربي بيروت، الدار البيضاء، د ط، 2005.
27. عمر بن قينة: في الأدب الحديث تاريخا وأنواعا وقضايا وإعلام، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون، الجزائر، د ط، 1995.
28. ماجدة موريس إبراهيم: الإرهاب.. الظاهرة وأبعادها النفسية، دار الفارابي، الجزائر، ط1، 2008.
29. محمد تامالت: الجزائر من فوق النيران - شهادات لجنرالات ورؤساء حكومات وزعماء أحزاب وشخصية من الجبهة الإسلامية للإنقاذ، الجزائر، 1999.
30. محمد سالم ومحمد الأمين طلبية: مستويات اللغة في السرد العربي المعاصر - دراسة نظرية تطبيقية - سيمانطيقيا السرد - الانتشار العربي، ط 1، 2008.
31. مخلوف عامر: الرواية والتحويلات في الجزائر - دراسات نقدية في مضمون الرواية المكتوبة بالعربية - منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، 2000.
32. مراد وهبة ومنى بوسنة: الأصولية والعلمانية في الشرق الأوسط، دار قباء، القاهرة، ط14، 1999.
33. واسيني الأعرج: سيده المقام، دار الفضاء الحر، 2001.
34. يوسف وغليسي: النقد الجزائري المعاصر، دار المعرفة الجامعية، دار البشائر، الجزائر، د ط، 2002.



رابعاً: الرسائل والأطروحات

35. فاروق جقريب: أدب الأزمة في رواية ذاكرة الماء لواسيني الأعرج، رسالة ماجستير، جامعة ورقلة، 2010-2011.

خامساً: المجلات

36. مجلة الملتقى الدولي الثامن للرواية عبد الحميد بن هدوقة، 2004.
37. مجلة الفكر السياسي، العددان 13-14، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2001.
38. مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، العدد الثاني، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2005.
39. مجلة عالم الفكر، مجلد، 28 عدد أول سبتمبر 1999.

سادساً: الدوريات والملتقيات

40. إبراهيم سعدي: الجزائر كنص سردي، ضمن أعمال الملتقى الرابع، عبد الحميد بن هدوقة، وزارة الثقافة والاتصال، ط 1، 2001.
41. عبد اللطيف جني: الرواية الجزائرية بين الأزمة وفاعلية الكتابة ضمن أعمال الملتقى الوطني الثاني في الأدب الجزائري بين الخطاب والأزمة ووعي الكتابة، يومي 16-17-2009، دار سوق.



فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
	شكر و عرفان
أ-ج	مقدمة
مدخل: نشأة وتطور الرواية الجزائرية	
05	أولاً: النشأة والتطور
06	ثانياً: نشأة فن الرواية في الجزائر
الفصل الأول : ماهية أدب المحنة	
12	تمهيد
13	أولاً: مفهوم المحنة.
16	ثانياً: المحنة كمرحلة تاريخية.
26	ثالثاً: المحنة وتجلياتها على الرواية.
الفصل الثاني: المحنة من خلال رواية مملكة الفراشة	
32	أولاً: تمهيد: الإرهاب في الرواية الجزائرية
43	ثانياً: مظاهر المحنة في رواية مملكة الفراشة
44	1_ الايديولوجيا
47	2_ التيمات
48	2_1_ الإرهاب
54	2_2_ الموت
57	2_3_ قتل المثقف
61	3- النزوع الدرامي
62	_ البناء الدرامي
67	خاتمة
72	الملاحق
78	قائمة المصادر والمراجع
82	الفهرس



ملخص:

تعد دراستنا الموسومة بأدب المحنة عند واسيني الأعرج -رواية مملكة الفراشة أنموذجا-، واحدة من الدراسات التي سلطت الضوء على أدب المحنة في الرواية الجزائرية، لما كان لها بالغ الأثر على الأدب الجزائري ورواده، حيث صورت هذه الرواية الواقع المأساوي المتأزم الذي عانى منه الشعب الجزائري خلال العشرية السوداء، حيث تستوحي هذه الرواية من الحرب الأهلية أو الصامتة مرجعا تاريخيا لها، فالرسالة التي أراد الروائي أن يوصلها من خلال هذا العمل الروائي أن الحرب الأهلية والطائفية خراب للبلاد والعباد.

الكلمات المفتاحية:

المحنة، أدب، مجتمع، إرهاب.

Résumé:

Notre étude, marquée par la littérature du supplice chez Ouassini Laredj, du roman « Le royaume du papillon » est considérée comme l'une des études qui a mis en évidence la littérature du supplice dans le roman algérien pour son effet profond sur la littérature algérienne et ses pionniers ; ce roman a dépeint la tragique réalité en crise dont a souffert le peuple algérien durant la décennie noire de telle manière que cette histoire s'inspire de la guerre civile ou silencieuse, une référence historique pour elle. Le message que le romancier voulait transmettre, à travers cette œuvre romanesque, que la guerre civile et ethnique est une destruction du pays et du peuple.

Mots clés :

Le supplice, La littérature, La société, Le terrorisme